شمائل الطيب

شعر

بشير العوف

المكتب الإسلامي

الطبعة الأولى
جميع الحقوق محفوظة
١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م

المكتب الاسلامي
بيروت: ص.ب ١١/٣٧٧١ - هاتف ٤٥٠٦٣٨ - برقياً: اسلاميا
دمشق: ص.ب ٨٠٠ - هاتف ١١١٦٣٧ - برقياً: اسلامي

بسم الله الرحمن الرحيم

هدية
إلى الصهر العزيز الغالي السيد صفوح الداودي
وقرينته الغالية ابنتي خيزة أم بسام
مع دعائي لهما بدوام الرضى والتوفيق
الوالد
لفوف
بيروت ٢٧ ذو القعدة ١٤٠٦هـ
١ / ٨ / ١٩٨٦م

القسم الأول

من شعر المناسبات

بَـــرَدَىٰ *

سِـرْ فِي جَـلاَلِـكَ صَـامِتـاً مُتَهَـادِي
وَآمْـشِ الهُوَينـا فِي رُبُـوعِ بِـلاَدِي
فَعَـلىٰ جَبِينِـكَ من جَـلاَلِـكَ هَيْبَـةٌ
وَعَـلَى ضَـمِـيـرِكَ دَفْـقُ كُـلِّ وِدَادِ

بَـــرَدَىٰ *

سِـرْ فِي جَـلاَلِـكَ صَـامِتـاً مُتَهَـادِي
وَامْـشِ الهُوَيْنـا فِي رُبُـوعِ بِـلاَدِي
فَعَـلىٰ جَبِينِـكَ مِن جَـلاَلِـكَ هَيْبَـةٌ
وَعَـلَى ضَـمِـيـرِكَ دَفْـقُ كُـلِّ وِدَادِ

بَـرَدَىٰ تَـشَـامَـخْ فِي عُـلَاكَ وَذَرْهُـمُ
فِي تِيهِهِمْ .. فِي الْغَيِّ .. فِي ٱلْأَحْقَـادِ

دَعْهُمْ يَخُـوضُـوا فِي ضَـلَالِ عَمَـايَـةٍ
جَمْـرُ ٱلـعُـلَىٰ ، لا يَـنْـطَفِي بِـرَمَـادِ

هَـزَلَ ٱلـزَّمَـانُ .. فَصِـرْتَ سُبَّـةَ أَلْسُنٍ
عَبَثَتْ .. فَضَـلَّتْ عنْ هُـدَىً وَرَشَـادِ

نَـسِـيَـتْ فُـيُـوضَـكَ ثَـرَّةً مِـعْـطَاءةً
حَـمَـلَتْ عِـهَـادَ ٱلْـمُـزْنِ وَهـيَ غَـوَادِ

نَسِيَتْ خِضَـمَّـك يـزدري بسَـخَـائِمٍ
وَيَجُـودُ بـالإِنْـعَـامِ والإِسْـعَـادِ

نَـسِـيَـتْ جُمُـوحَـكَ ثَـائِـراً مُـتَـمَـرِّداً
تُعْـطِي .. ولا تخشَىٰ صَليـلَ نَـفَـادِ

بَـرَدَى .. نَسُـوكَ وَأنتَ مَـوْئِـلُ عِـزِّهِمْ
كَـانَـتْ لَـكَ ٱلأَمْجَـادُ خَـيْرَ عَـتَـادِ

فَلَقَـدْ حَمَلْتَ عَـلَى ٱلـدُّهُـورِ مَفَـاخِـراً
تَـاهَتْ عَـلَى ٱلتَّـارِيـخ .. كَـٱلأَطْـوادِ

ظَلَمُـوكَ يَـا بَـرَدَىٰ .. وقَـالُـوا : مَـاؤُهُ
قَـدْ جَفَّ .. أو قَدْ غَـارَ ، غَـيْرَ جَـوَادِ

ظَلَمُـوكَ إِذْ ظَنُّـوا ٱلـظُّنُـونَ فَقُـلْ لَهُمْ :
« بَـرَدَىٰ » سَلِيـلُ مَـنَـابِـعِ ٱلأَمْجَـادِ

بَـرَدَىٰ ، تَخِـرُّ لَـهُ ٱلجِبَـاهُ فَيَصْـطَفِي
لِـنَـداه خَـيْرَ مَـوَاكِـبِ ٱلـرُّوَّادِ . . !

* * *

مَـاذَا إِذَا جَفَّتْ مِيَاهُـكَ فَتْـرَةً . . ؟!
مَـاذَا إِذا أَسْجَاكَ لَيْـلُ سُهَـادِ . . ؟!
أَفَصِـرْتَ هَوْنـاً تُسْتَضَامُ وَتُزْدَرَىٰ . . ؟!
أَمْ صِـرْتَ صَيْـداً مُـوثَقـاً بِصِفَـادِ
خَسِئوا . . فَمَا لَانَتْ قَنَـاتُكَ سَـاعَـةً
بَـلْ كُنْتَ كَفَّ ٱلبَـطْشِ يَـوْمَ جِـلَادِ
وَإِذَا صَـبَـرْتَ عَـلَى ٱلأَذَىٰ فَـلِأَنَّ فِي
طَـبْـعِ ٱلكَـرِيـمِ تَسَـامُـحَ الـزُّهَّـادِ

فَسَمَـاحُـكَ ٱلمَيْمُـونُ أطمـعَ جَهْلَهُمْ
وَأَثَـارَ فِيـهِـمْ شَهْـوَةَ ٱلأَوْغَـادِ
دَلَـفُـوا إِلَيْـكَ بِخَيْلِهِمْ ، وَبِـرِجْلِهِمْ
يَمْـشُـونَ . . لَا يَخْشَـوْنَ وَرْيَ زِنَـادِ
حـتَّى ٱلـقِـطَاطُ أَتَـتْ إِلى مَجْـرَاكَ فِي
تِيـهِ ٱلـدَّعِيِّ . . تَخُـوضُ خَـوْضَ فسـادِ
يَـا رَبَّـةَ ٱلْمَجْدِ ٱلأَثِيـلِ أَلَا ٱغْضَبِي
بَـلْ فَـٱلْبِسِي لِلْقَـوْمِ ثَـوْبَ حِـدَادِ
هَـانَ ٱلزَّمَـانُ . . فصـار من قُـرَنَـائِـهِ
قِـطَطٌ تَجُـوسُ مَـرَابِـعَ ٱلآسَـادِ . . !

* * *

بَـرَدَىٰ . . . أَيـآبنَ دِمَشْـقَ في تَحْنَـانِهَا
بَـرَدَىٰ . . . وَدِيعَـةَ عِتْـرَةِ ٱلأَجْـدَادِ

بَـرَدَىٰ . . أَيـا صِنْـوَ ٱلشَّـآمِ وَخِـدْنَهَا
بَـرَدَىٰ . . . أَيـآبْنَ مَكَـارِمٍ وَجِهَـادِ

لاَ تَبْتَئِسْ . . فَلَرُبَّمَـا سَـدَرَ ٱلـزَّمَـانُ ـ
ـ لُحَيْـظَةً ، مِـنْ عُـمْـرِهِ ٱلْمُتَـمَـادِي

وَلَـرُبَّمَـا غَـفَـلَ ٱلكِـرَامُ سُـوَيْـعَـةً
فَـتَـقَـدَّمَـتْ لِـلصَّـفِ حَـيَّـةُ وَادِ

تَمْشِي ، وَتَنْفُثُ مِن زُعَـافِ سُمُـومِهَـا
مَـالاَ يُـغَـادِرُ أُسَّ كـلِّ عِـمَـادِ

لَكِنْ . . دِمَشْقُـكِ لاَ تَنَـامُ عَـلَى أَذَىٰ
أَبَـداً . . . وَمَـا خَـنَعَـتْ لِـذُلِّ قِيَـادِ

فَـالْحَيَّـةُ ٱلـرَّقْـطَاءُ . . يَسحَقُ رَأْسَهَـا
بِـٱلـنَّـعْـلِ ، قَـوْمُ أَصَـالَـةٍ وَسَـدَادِ

فَـٱلنَّعْـلُ أَخْلَقُ بِـٱلـرُّؤُوسِ إِذَا بَـدَتْ
بِـٱلـسُّـمِّ رَأْسُ تَـزْدَهِـي بِـعِـنَـادِ

وَٱلْمَجْـدُ يَـا بَـرَدَىٰ ، وَبَـيْنَ قُصُـورِهِ
قَـصْـرٌ ، أُقِيمَ عَـلَى رَفِيـعِ عِـمَـادِ

هُـوَ لِـلْخُلُودِ . . وَأَنْـتَ في مِحْـرَابِـهِ
شَيْـخُ ٱلـزَّمَـانِ وَكَـعْـبَـةُ ٱلـقُـصَّـادِ

فَمَعَ ٱلزَّمَانِ وُلِدَتْ صِنْوَ كَرَامَةٍ
وَمَعَ ٱلزَّمَانِ تَسِيرُ لِلأَمَادِ

لَنْ يَبْلُغُوا فِيكَ ٱلمَدَى فَجِبَاهُهُمْ
في ٱلأَرْضِ تَسْجُدُ لِلْجِلَالِ ٱلبَادِي

لَنْ يَطْمَعُوا بِالنَّيْلِ مِنْكَ ، فَإِنَّهُمْ
هَمَلٌ .. وَمَا خُلِقُوا لِسَاحِ طِرَادِ

هٰذِي صُخُورُكَ كَمْ تَهَشَّمَ فَوْقَهَا
مِنْ أَرْؤُسٍ عَزَّتْ عَلَى ٱلتَّعْدَادِ

فَخُذِ ٱلمَكَانَ ٱلحَقَّ في العَلْيَاءِ لَا
تَخْشَ ٱلزَّعَانِفَ .. فَهِيَ جَمْعُ بَدَادِ

تَكْفِيكَ في حَرَمِ ٱلخُلُودِ مَهَابَةٌ
بَقِيَتْ ، وَتَبْقَى آيَةَ ٱلآبَادِ

وَلْيَعْلَمِ البَاغُونَ أَنَّ مَصِيرَهُمْ
حَتْفُ ٱلقَضَاءِ ، مُغَمَّسٌ بِسَوَادِ

* * *

وَغَداً تَزُولُ سَحَابَةُ الشُّؤْمِ ٱلَّتِي
ذَرَّتْ قُرُونَ ٱلبَغْيِ ، وَٱلإِفْسَادِ

وَسَتَنْجَلِي ظُلَمُ ٱلحَيَاةِ وَطَالَمَا
شُقَّ ٱلظَّلَامُ بِكَوكَبٍ وَقَّادِ

وَغَداً يَهُبُّ النَّائِمُونَ عَلَى ٱلأَذَى
آسَادَ عَزْمٍ بَعْدَ طُولِ رُقَادِ

وَسَيَنْبَرِي ٱلشَّعْبُ ٱلأَبِيُّ لِغَايَةٍ
يَسْعَىٰ لَهَا خَلْفَ ٱلكَمِيِّ ٱلهَادِي

هَيَّا فَقُمْ يَا أَيُّهَا ٱلبَطَلُ ٱسْتَرِحْ
مِنْ أَرْؤُسٍ قَدْ أَيْنَعَتْ لِحَصَادِ

هَيَّا فَطَهِّرْ أَرْضَنَا مِنْ رِجْسِهِمْ
قَدْ آنَ تَطْوِي ٱلهَوَى وَتُنَادِي

فَمَذَلَّةُ ٱلأَدْهَارِ أَنْ تَجِدَ ٱلعُلَىٰ
هَوْناً ، يَذِلُّ وَيَنْحَنِي لِعَوادِ

* هذه القصيدة بقيت أبياتاً مطوية ، لا يسمعها ولا يقرؤها إلا الأصدقاء المقرّبون حتى انتهى الحكم الناصري من سورية ، وقد ألقيتها في مناسبات وطنية عديدة ، واذعتها للمرة الأولى من تلفزيون دمشق مساء ٦/١٠/١٩٦١م رافقني فيها فيلم تلفزيوني عن نهر بردى في عطائه وجفافه ، في صيفه وشتائه .

مولدُ الرَّسول *

خَفَّ ٱلقَرِيضُ بِرَائِعِ ٱلأَوْزَانِ
وَسَعَىٰ ٱلبَيَانُ مُوَشَّحَ ٱلأَرْدَانِ

وَهَفَا ٱلفُؤَادُ يُجِيبُ وَهْجَ شُعُورِهِ
فَيْضٌ غَزِيرُ ٱلْيُمْنِ وَٱلإِيمَانِ

أَمُحَمَّـدُ . . يَـا رَمْـزَ كُـلِّ جَـلاَلَـةٍ
ذِكْـرَاكَ جَلَّتْ عَـنْ رَفِيـعِ بَيَـانِـي

هِيَ صُـورَةٌ فِي ٱلنَّفْسِ رَائِعَـةٌ فَمَـا
أَرْضَـىٰ لِقَـلْبِي أَنْ يَـقُـولَ لِسَـانِـي

فَـدَعِ ٱللِّسَـانَ . . وَلَيْسَ من طَـاقَـاتِـهِ
تَـرْتِـيـلُ آيِ إِلْـقَـلْبِ وَٱلْـوِجْـدَانِ

لُغَـةُ ٱلشُّـعُـورِ يَـذُوبُ في آفَـاقِـهَـا
نُـطْقُ ٱلْبَلِيـغِ وَ رَائِـعِ ٱلأَلْـحَـانِ

* * *

أَمُحَمَّـدُ . . يَا مُنْقِـذَ ٱلـدُّنْيَـا لَقَـدْ
ضَـلَّتْ دُنَـانَـا غَـايَـةَ ٱلإِحْـسَـانِ

وَعَـتَتْ عُـتُـوَّ ٱلـظَّالِمِـينَ فَـحَيْثُـمَـا
وَلَّـيْـتَ وَجْـهَـكَ فـي مَـدَىٰ ٱلْـبُلْدَانِ

تَجِـدِ ٱلضَّـلاَلَـةَ شَـيَّـدَتْ أَرْكَـانَهَـا
يَـا بِئْسَ مَـا تَـبْنِـي مِـنَ ٱلأَرْكَـانِ

« عَدْلٌ . . » يَقُومُ عَلَى ٱلْقَنَابِلِ لاَ عَلَى
صَـوْتِ ٱلـضَّمِـيـرِ وَوَاجِبِ ٱلإِنْـسَـانِ

* * *

يَـا قَـوْمُ مَـا بَـالُ ٱلْـعُتَـاةِ يَـهُـزُّهُمْ
شَـوْقٌ إِلَـى ٱلأَنَـامِ وَٱلـطُّغْـيَـانِ

يَسْتَـأْسِـدُونَ وَهُـمْ أَسَـارَىٰ « هِتْـلَرٍ »
ذَاقَـتْ بـه « بَـارِيسُ » كَـأْسَ هَـوَانِ

يَـا لَلْجَبَـابِـرِ قَـدْ غَـدَوْا بِصَغَـارِهِمْ
قِـطْعَـانَ نُـوقٍ في حِمَـىٰ آلـرُّعْيَـانِ

إن تَقْـذِفُـوهُمْ بِـالْحَصَـاةِ تَهَـارَعُـوا
وَتَـفَـرَّقُـوا مِـزَقـاً بِـكُـلِّ مَـكَـانِ

وَيَـلُـمُّ شَـعْـثَـهُـمُ آلـرُّعَـاةُ بِـجُلْجُـلٍ
وَتَسُـوقُهُمْ مِنْ بعـدُ بـ... آلْعِيـدَانِ

إيـهٍ دِمَشْقُ... وَهَـلْ تَلِينُ قَنَـاتُهَـا
لِأَذِلَّـةٍ بِـمَـعَـرَّةِ آلْـخِـذْلَانِ..؟!

إيـهٍ دِمَشْقُ... وَهَلْ يَنَـالُ إبَـاءَهَـا
شَبَـحٌ مُـدَمَّىٰ أَوْ قَتِيـلُ سِنَانِ..؟!

وَآللهِ.. إنَّ آلـشَّـامَ كَـانَـتْ غُـرَّةً ـ
ـ آلتَّـارِيـخِ وَآلـدُّنْيَـا وَكُـلِّ زَمَـانِ

قَـحْـطَانُ أَتْـرَعَـهَـا بِـفَـيْضِ إبـائِـهِ
وَبَنَىٰ مَـحَـامِـدَهَـا بَنُـو عَـدْنَـانِ

وَبِهَـا آسْتَقَـرَّتْ بَيْضَـةُ آلإِسْـلَامِ إذ
حَـطَمَـتْ «أُمَـيَّـةُ» آيَـةَ آلأَوْثَـانِ

* * *

يَـا قَوْمُ مَهْـلاً.. فَـآلْعُـرُوبَـةُ لَمْ تَـزَلْ
مَـهْـدَ آلْـكَـرَامَـةِ فِـي عُـلُوِّ آلـشَّـانِ

رَغِبَتْ عَنِ آلْعَيْشِ آلـذَّلِيـلِ وَشَيَّـدَتْ
فَـوْقَ آلْمَـكَـارِمِ حُـرْمَـةَ آلأَوْطَـانِ

وَتَسَنَّمَتْ مَهْدَ ٱلرِّسَالَةِ وَٱلْهُدَىٰ
بِتَوَاضُعٍ وَتَمَرُّسٍ وَتَفَانِ

وَٱللهُ حِينَ ٱخْتَارَ أُمَّةَ يَعْرُبٍ
«وَسَطاً»، لِتَحْمِلَ دَعْوَةَ ٱلإِيمَانِ

مَا كَانَ هَذَا.. وَٱصْطِفَاءُ مُحَمَّدٍ
إِلَّا ٱخْتِيَاراً أَوَّلاً، لَا ثَانِ

فَهُوَ ٱلْخِيَارُ.. مِنَ ٱلْخِيَارِ.. مِنَ ٱلْخِيَارِ-
-مِنَ ٱلْمِظَنَّةِ، مِنْ كَرِيمِ هِجَانِ

* * *

نَحْنُ ٱلأُبَاةُ رُعَاةُ كُلِّ عَظِيمَةٍ
شَهِدَتْ لنا ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلأَزْمَانِ

وَلَقَدْ دَعَمْنَا صَرْحَ كُلِّ حَضَارَةٍ
وَبِنَا تَبَيَّنَ مِنْهَجُ ٱلْعِرْفَانِ

وَلَقَدْ أَقَمْنَا لِلْعَدَالَةِ أُسَّهَا
يَوْمَ ٱنْتِشَارِ ٱلظُّلْمِ وَٱلْبُهْتَانِ

يَا ذِكْرَيَاتِ ٱلْمَجْدِ... إِنَّ دُمُوعَنَا
حَرَّىٰ تَسُحُّ بِحُرْقَةِ ٱلأَضْغَانِ

يَا ذِكْرَيَاتِ ٱلْمَجْدِ.. إِنَّ نُفُوسَنَا
ٱسْتَعَرَتْ بِلَوْعَاتٍ مِنَ الأَحْزَانِ

يَا ذِكْرَيَاتِ ٱلْمَجْدِ.. إِنَّ رَبِيبَنَا
أَمْسَىٰ يُجَازِي ٱلْفَضْلَ بِٱلْنُّكْرَانِ

بِئْسَ ٱلـرَّبِيبُ إِذَا تَنَاسَىٰ سَيِّداً
أَعْطَاهُ خَيْرَ ٱلْخَيْرِ وَٱلرِّضْوَانِ

أَعْطَاهُ فَيْضاً مِنْ عُلُومٍ ثَرَّةٍ
أَعْطَاهُ عَدْلَ ٱلْمُؤْمِنِ ٱلْمُتَفَانِي

حَتَّى إِذَا دَالَ ٱلزَّمَانُ تَكَشَّفَتْ
عَنْهُ ٱلنَّذَالَةُ فِي مَدَىٰ ٱلْعِصْيَانِ

يَا لَلنَّذَالَةِ أَنْ تُصِيبَ بِلُؤْمِهَا
حُرَّ ٱلْجِبِينِ ، وَسَيِّدَ ٱلأَقْرَانِ . . !!

* * *

يَا ذِكْرَيَاتِ ٱلْمَجْدِ . . مَا نَالَ ٱلرَّدَىٰ
مِنَّا ٱلإِبَاءَ بِرَغْمِ أَنْفِ ٱلْجَانِي

لَكِنْ كَبَوْنَا حِقْبَةً وَجِرَاحُنَا
مِلْءَ ٱلْجُسُومِ ثَخِينَةُ ٱلْعُدْوَانِ

مَا كَانَ جُرْحُ ٱلْجِسْمِ يَوْماً ذِلَّةً
إِنَّ ٱلْمَذَلَّةَ فِي خَنَىٰ ٱلْوِجْدَانِ

* * *

نَحْنُ ٱلأُبَاةُ . . أُولُو ٱلْوَفَاءِ وَرَبْعُهُ
نَحْمِي عُلَاهُ بِذِمَّةٍ وَضَمَانِ

نَأْسَىٰ إِذا ٱسْتَحْذَىٰ ٱلْكَرِيمُ وَإِنَّ فِي
خُلْفِ ٱلْعُهُودِ مَوَاطِنَ ٱلْخُسْرَانِ

وَأَشَدُّ مَا يُدْمِي ٱلْفُؤَادَ تَوَجُّعاً
بَيْعُ ٱلضَّمِيرِ بِأَبْخَسِ ٱلأَثْمَانِ

* * *

إيهٍ رَسُولَ ٱلله .. إِنِّي شَاعِرٌ
ثَارَتْ بِنَفْسِي ثَوْرَةُ « الشُّبَّانِ »

أَمُحَمَّدٌ يَا مَشْرِقَ ٱلنُّورِ ٱلَّذِي
نَشَرَ ٱلضِّيَاءَ لِعَالَمٍ وَسْنَانِ

وَأَنَارَ دَرْبَ ٱلسَّالِكِينَ بِهَدْيِهِ
فَسَمَتْ حُقُوقُ ٱللهِ وَٱلإِنْسَانِ

وَتَصَدَّعَ ٱلشِّرْكُ ٱلْكَئِيبُ إِذِ ٱرْتَمَىٰ
فَوْقَ ٱلْهَشِيمِ مُحَطَّمَ ٱلأَوْثَانِ

وَتَبَسَّمَ ٱلتَّوْحِيدُ فِي زَهْوٍ عَلَى
كُلِّ ٱلعُصُورِ ، وَهَلَّلَ ٱلْحَرَمَانِ

ٱللهُ أَكْبَرُ .. لَنْ نَزَالَ عَلَى ٱلْهُدَىٰ
مَا دَامَ فِينَا مُحْكَمُ ٱلْقُرْآنِ

* ألقيتُ هذه القصيدة في دار « جمعية الشبان المسلمين » بدمشق في أثناء الاحتفال بذكرى المولد النبوي وذلك في الاسبوع الأخير من شهر ربيع الأول عام ١٣٦٤ هـ . وكانت البلاد حينئذ في حالة صراع شديد مع الاستعمار الفرنسي البغيض .

ب . . .

تحيّة دمشق*

الى سمو الأمير عبدالله امير شرقي الاردن

حَيِّ ٱلْحِمَىٰ .. وَٱسْجُدْ لِرَبِّ مُحَمَّدِ
وَٱخْشَعْ .. هنا دَارُ ٱلأَمِيرِ ٱلأَمْجَدِ

وَقُلِ : ٱلسَّلَامُ عَلَى عَظِيمِ جَلَالِهِ
هَذَا ٱلشَّرِيفُ ٱبنُ ٱلشَّرِيفِ ٱلسَّيِّدِ

فَٱلْجَأْ إِلَيْهِ ٱبنَ ٱلشَّآمِ فَعِنْدَهُ
أَمَلُ ٱلْمُؤَمِّلِ فِي صَفَاءِ ٱلْمَوْرِدِ

اللهُ أَلْبَسَهُ ٱلْوَقَارَ مَهَابَةً
وَحَبَاهُ فَضْلاً فِي ٱكْتِمَالِ ٱلسُّؤْدَدِ

قُمْ نَاجِهِ .. قُمْ بُثَّهُ شَكْوَاكَ مِنْ
كَيْدِ ٱلسِّيَاسَةِ وَٱجْتِرَاءِ ٱلْمُعْتَدِي

وَلَقَدْ يُرَجَّىٰ فِي ٱلشَّدَائِدِ كُلِّهَا
مَنْ كَانَ يَدْعُو لِلإِخَاءِ وَيَبْتَدِي

فَلَدَىٰ ٱلأَمِيرِ مِنَ ٱلْعُرُوبَةِ مَوْثِقٌ
عَهْداً عَلَيْهَا لِلْمَلِيكِ ٱلأَوْحَدِ

ذَاكَ ٱلَّـذِي مَـلأَ ٱلْـحَيَـاةَ مَـفَـاخِـراً
فَقُلِ : « ٱلْحُسَيْنُ » .. وَبَعْدَ ذَلِكَ فَٱقْعُدِ

مَـلِكٌ أَقَـامَ مِـنَ ٱلْـعُـرُوبَـةِ أُمَّـةً
تَـسْعَىٰ لِنَيْـلِ حُقُـوقِهَـا بِـمُـهَنَّـدِ

وَتُقِيمُ صَـرْحَ ٱلْمَجْـدِ لِإِسْتِـقْـلاَلِهَـا
فَوْقَ ٱلْمَكَارِمِ .. يَا لَنُبْلِ ٱلْمَحْتِدِ .. !

فَـبَنَىٰ عَلَى ٱلإِسْـلاَمِ أُسَّ بِـنَـائِـهَـا
لِتَكُـونَ حِصْنـاً حَـوْلَ دِينِ مُحَـمَّـدِ

وَتَـكُـونَ دِرْعَ ٱلْمُسْلِمِينَ جَـمِيعِـهِـمْ
مِـنْ كُـلِّ شَـعْـبٍ أَبْيَضٍ أَوْ أَسْـوَدِ

وَتَـدُكَّ عَـرْشَ « ٱلْعُنْصُـرِيَّـةِ » إِنْ بَغَتْ
فِي أَرْضِهَـا « عَـصَبِيَّـةُ » ٱلْمُتَـمَـرِّدِ

أَبَـداً .. وَمَـا أَرْسَىٰ لَنَـا « قَـوْمِيَّـةً »
إِلاَّ بِـنَـهْـجٍ مُـؤْمِـنٍ .. لاَ مُـلْحِـدِ

* * *

قُمْ لِـلأَمِيـرِ .. وَبُثَّـهُ شَكْـوَاكَ مِـنْ
كَيْـدِ السِّيَـاسَـةِ وَٱفْتِـرَاءِ ٱلْـمُعْتَـدِي

عَـمَّـانُـهُ كَـٱلشَّـامِ فِـي تَـحْنَـانِـهِ
وَٱلشَّامُ .. كَٱلْقُـدْسِ ٱلْحَرَامِ ٱلْمَسْجِدِ

خِـدَعُ ٱلـسِّيَـاسَـةِ لَـنْ تُـفَـرِّقَ أُمَّـةً
كَـانَتْ ـ عَلَى ٱلأَزْمَـانِ ـ خَـيرَ مُـوَحَّـدِ

لـغـةً ، وَتَـارِيـخـاً وَدِيـنَ عِـبَـادَةٍ
تَبّـاً لِـمَـنْ فِـي حَـقِّـهِ لَمْ يَـرْشُـدِ

لَا يَسْتَـطِيـعُ ٱلْعَبْـدُ تَـفْـرِيقـاً لِـمَـا
جَمَعَتْ يَـدُ ٱلـرَّحْمٰنِ جَمْـعَ تَـأَبُّـدِ

* * *

وَلَئِـنْ أَرَادَ ٱلْـغَـاصِـبُـونَ سِـيَـادَةً
وَسَعَـوْا لَهَـا فِـي كُـلِّ دَرْبٍ أَسْـوَدِ

صَبَغُـوا ٱلْوُجُـوهَ ، وَعَفَّرُوهَـا ، مَا رَعَـوْا
عَهْـداً ، وَمَـا حَفِـظُوا ذِمَـامـاً لِلْيَـدِ

وَتَسَـابَقُـوا .. وَٱللَّؤْمُ يَفْضَـحُ عَـارَهُمْ
لِـفَـجِـيـعَـةٍ ، سَـعْـيـاً بِـكُـلِّ مُـبَـدِّدِ

يَبْغُـونَ مِنْ قَلْبِ ٱلْعُـرُوبَـةِ مَـوْطِنـاً
لِشَتَـاتِ قَـوْمٍ ، بَـلْ لِشَعْـبٍ أَوْغَـدِ

شُـذَّاذِ آفَـاقٍ ، وَمَـا عَـرَفُـوا ٱلنَّـدَىٰ
كَـلَّا .. وَلَيْسَ لِعِـرْضِهِمْ مِنْ زُوَّدِ .. !

أَبَـداً ـ وَرَبِّـكَ ـ لَـنْ يَنَـالُـوا إِرْبَـهُـمْ
مَـا دَامَ فِي ٱلْأَسْمَـاعِ صَـوْتُ مُحَمَّـدِ

* * *

مهـلاً فِلِسْـطِينَ ٱلْعُـرُوبَـةِ .. لَمْ يَنَمْ
عَنْـكِ ٱلْكِرَامُ ـ عَلَى ٱلْمَـدَى ـ فَتَجَلَّدِي

لَا تَجْـزَعِي مِنْ بَـاطِـلٍ تَحْمِيـهِ نَـارُ ـ
ـ لِـلْعَـدُوِّ وَحِـزْبِـهِ ٱلْـمُـتَـمَـرِّدِ

فَـٱلْـحَقُّ مَـهْـمَـا يُـضْـطَـهَـدْ أَنْـصَـارُهُ
يَـبْقَ ٱلْـوَفَـاءُ شِـعَـارَ كُـلِّ مُمَجَّـدِ

وَٱلْـحَقُّ مَـهْـمَـا تُـسْـتَـلَبْ أَجْـزَاؤُهُ
لَا بُـدَّ مِـنْ يَـوْمٍ يَـعُـودُ فَـتُـرْدَدِ

هَـيَّـا ٱبَعَـثِيـهَـا صَـرْخَـةً مُـضَـرِيَّـةً
قَـدْ آنَ أَنْ تَحْمِي ٱلْحِمَىٰ ، فَتَـزَوَّدِي

مَـا جَـارَةُ ٱللَّؤْمِ ٱلـدَّنِيءِ بِـجَـارَةٍ
تُفْـدَىٰ بِبَذْلِ ٱلنَّفْسِ ، أَوْ هِيَ تَفْتَـدِي

مَـا لِلْيَهُـودِ بِـأَرْضِ يَـعْـرُبَ مَنْـزِلٌ
مَـا لَمْ نَنَـمْ تَحْتَ ٱلثَّـرىٰ وَنُـوَسَّـدِ

* * *

إِيـهٍ ، فُوَادِي .. قَـدْ دَمِيتَ مِنَ ٱلأَسَى
إِيـهٍ ، وَمَـا نَـظْمُ ٱلْقَـرِيضِ بِمُسْعِـدِ

إِنْ لَمْ نَـذُدْ عَنْ حَـوْضِنَـا بِـدِمَـائِنَـا
وَنُـؤَيِّـدِ ٱلْـحَـقَّ ٱلْـقَـوِيـمَ بِـمِـذْوَدِ

« أَلْـوَحْدَةُ ٱلْعَـرَبِيَّـةُ » الكبـرى ، غَـدَتْ
لِـلْـحـرِّ غَـايَـةَ رَجْـوِهِ ٱلْـمُـتَـوَقِّـدِ

فَـلَهَـا نَعِيشُ وَفِي سَـبِيـلِ بِـنَـائِهَـا
نَجِـدُ ٱلـرَّدَىٰ حُلْواً ، وَعَـذْبَ ٱلْمَـوْرِدِ

---

* ألقيتُ هذه القصيدة أمام سمو الأمير عبد الله بن الحسين ، أمير إمارة شرقي الأردن (ملك ومؤسس المملكة الأردنية الهاشمية فيما بعد) قبيل مأدبة العشاء التي أقامها سموه في قصره « رغدان » في العاصمة الأردنية تكريما لقادة نادي الاتحاد الرياضي الدمشقي وذلك مساء ١٩٤٤/١١/٣٠ بحضور رئيس الوزارة الأردنية سمير باشا الرفاعي وأركان الحكومة وقاضي القضاة . وكنت ألقيتها قبل ذلك بساعات في الاحتفال الكبير الذي دعا إليه رئيس الوزراء الأردني تكريما لأعضاء النادي في فندق « فيلادلفيا » . وصبيحة اليوم التالي نشرتها جريدة « الأردن » في صدر صفحتها الأولى ونقلها عنها عدد من الصحف والمجلات الأردنية .

ب . . .

ذكرى الهجرة*

من مكة إلى ... الغار

فصل من الملحمة الإسلامية

حَيِّ ٱلنَّبِيَّ تَحِيَّةَ ٱلإِكْبَارِ
وَٱذْكُرْ رَوَائِعَ هِجْرَةٍ بِفَخَارِ
وَأَعِدْ لَنَا نَفَحَاتِ يَوْمٍ خَالِدٍ
عَقَدَتْ لَهُ ٱلدُّنْيَا ضَفَائِرَ غَارِ

يَوْمٍ بِهِ تَرَكَ ٱلنَّبِيُّ مَرَابِعاً
كَانَتْ لَدَيْهِ كَأَرْوَعِ ٱلأَمْصَارِ
تَرَكَ ٱلْعَشِيرَةَ وَٱلْقَرَابَةَ رَافِعاً
عَلَمَ ٱلْهِدَايَةِ فِي رِضَىٰ ٱلإِيثَارِ
وَمَشَىٰ مَعَ ٱلصِّدِيقِ يَطْلُبُ يَثْرِباً
لِيَلُوذَ فِي كَنَفٍ مِنَ ٱلأَنْصَارِ
قَوْمٌ رَأَوْا أَلَقَ ٱلنُّبُوَّةِ مُشْرِقاً
مِنْ نُورِ وَجْهِ ٱلْمُصْطَفَىٰ ٱلْمُخْتَارِ
فَتَسَابَقُوا ، وَٱلْيُمْنُ مِلْءُ قُلُوبِهِمْ
لِيُبَايِعُوهُ بِسَاعَةِ ٱلإِعْسَارِ

فَـاخْشَـعْ لِبَيْعَتِهِمْ ، وَخَلِّدْ ذِكْـرَهُـمْ
فَهُمُ ٱلْخُـلَاصَـةُ صَفْـوُ كُـلِّ نُـضَـارِ

* * *

حَـزَّتْ بِـهِ عِـنْـدَ ٱلْـفِـرَاقِ مَـرَارَةٌ
تُـدْمِي قُـلُوبَ ٱلنُّخْـبَةِ ٱلأَحْـرَارِ

مَـا كَـانَ يَـأْمُـلُ أَنْ يَكُـونَ مُفَارِقـاً
مَـهْـدَ ٱلـنُّـبُـوَّةِ ، كَـعْـبَـةَ ٱلأَخْـيَـارِ

فَعَـلَا عَلَى ٱلْجَبَـلِ ٱلأَشَـمِّ مُـوَدِّعـاً
حَـرَمَ ٱلإِلٰـهِ ٱلْـمُـنْـعِـمِ ٱلْـقَـهَّـارِ

وَرَنَـا لِـمَـكَّـةَ بِـٱلْـفُـؤَادِ وَإِنَّـمَـا
يَـرْنُـو ٱلـرَّسُـولُ لِـقِـبْـلَةٍ وَمَـنَـارِ

وَحَـنَـا يُـوَدِّعُـهَـا بِـقَـلْـبٍ خَـافِـقٍ
وَفَـمٍ يُـغَـالِـبُ دَمْـعَـةَ ٱلـتَّـذْكَـارِ

هُـوَ ذَا يَقُـولُ وَقَـدْ هَفَـا بِضَمِيـرِهِ
لِـجَـلَالِ بَـيْـتِ ٱللهِ ذِي ٱلأَسْـتَـارِ

أَنْـتَ ٱلأَحَبُّ لَـدَىٰ ٱلإِلَـهِ وَأَنْـتَ لِـي
مَـهْـوَىٰ فُـؤَادِي دُونَ كُـلِّ دِيَـارِ

قَسَماً بِرَبِّي مَـا خَـرَجْتُ لَـوَ ٱنَّهُمْ
لم يُخْرِجُـونِي مِنْ حِمَىٰ ٱلأَبْـرَارِ . . !

* * *

قَـدْ أَخْـرَجُـوهُ بِـظُلْمِهِمْ يَـا لَيْتَهُمْ
عَـرَفُـوا دَقَـائِـقَ حِـكْـمَـةِ ٱلأَقْـدَارِ

لَمْ يَحْفَظُوا حَقَّ ٱلْوَشَائِجِ بَيْنَهُمْ
أَبَداً ، وَمَا صَانُوا ذِمَامَ جِوَارِ

لَكِنْ ، رَسُولُ ٱللهِ لَيس كَمِثْلِهِمْ
يَطْوِي ٱلضَّغِينَةَ .. كَيْ يَعُودَ لِثَارِ

بَلْ كَانَ ذَا خُلُقٍ وَحُلْوِ شَمَائِلٍ
أَعْطَتْ ... وَجَلَّتْ عَنْ هَوَىً وَعِثَارِ

فَلِذَا بَدَا فِي أَمْرِهِ مُتَفَكِّراً
وَبِمَا جَنَاهُ ٱلْقَوْمُ مِنْ أَوْزَارِ

فَرَثَىٰ لَهُمْ ، مِنْ غَيْرِ يَأْسٍ مُؤْمِناً
بِجَمِيلِ عَفْوِ القادر الجَبَّارِ

قَدْ قَالَ : رَبِّ إِهْدِ قَوْمِي إِنَّهُمْ
لَا يَعْلَمُونَ دَقَائِقَ ٱلأَسْرَارِ

قَدْ قَالَ : رَبِّ ٱغْفِرْ لِقَوْمِي إِنَّهُمْ
جَهِلُوا ـ وَحَقِّكَ ـ نَافِعَ ٱلأَوْطَارِ

كَلَّا .. وَمَا جَاءَ ٱلدُّعَاءُ بِـ : « لَا تَذَرْ
ـ يَا رَبِّ ـ فَوْقَ ٱلأَرْضِ مِنْ دَيَّارِ » .. !

رُحْمَاكَ يَا قَلْبِي .. فَذَاكَ مُحَمَّدٌ
تَاجُ ٱلنُّبُوَّةِ ، سَيِّدُ ٱلأَخْيَارِ

* * *

سَارَ ٱلنَّبِيُّ ، وَفِي ٱلْفُؤَادِ حَنَانُهُ
لِمَهَادِهِ وَلِعَبْقِهَا ٱلْمِعْطَارِ

وَكَـذَا ٱلْكَـرِيـمُ يُكِنُّ حُـبَّ بِـلَادِهِ
بَـيْنَ الـضُّـلُوعِ إِذَا نـآىٰ بِمَـزَارِ

وَسَـرَىٰ مَـعَ ٱلـصِّـدِّيقِ يُـفْعِـمُ قَلْبَـهُ
أَمَـلاً بِـنَـصْـرٍ مِـنْ عُـلَا ٱلأَقْـدَارِ

حَـتَّىٰ رَأَوْا فِي «غَـارِ ثَـوْرٍ» مَـلْجَـأً
يُـؤْوِيهِـمُ . . مِـنْ أعـين ٱلْـكُـفَّـارِ

دَلَـفُـوا إِلَيْـهِ ، وهـم بُـنَـاةُ رِسَـالَـةٍ
تَـسْـمُـو عـن ٱلأَغْـرَاضِ وَٱلأَوْطَـارِ

وَدَنَـا ٱلـرَّسُـولُ مِنَ ٱلـرَّفِيـقِ مُـرَدِّداً
فِي آيِ وَحْـيٍ مِـنْ بَـلِيـغِ حِـوَارِ:

لَا تَحْـزَنَـنَّ . . فَـإِنَّ رَبَّـكَ هَـاهُنَـا
مَـعَنَـا ، وَسَـعْـدُكَ فِي كَـرِيمِ جِـوَارِ

* * *

وَأَتَـتْ قُـرَيْشُ خَـلْفَـهُـمْ ، وَرِجَـالُهَـا
يَـتَـعَـقَّـبُـونَ ظَـوَاهِـرَ ٱلْآثَـارِ

وَدَنَـوْا مِـنَ ٱلْـغَـارِ ٱلْمُـنِيرِ إِذَا بِـهِ
سَـكَـنَـتْ إِلَـيـه شَـوَارِدُ ٱلأَطْـيَـارِ

عَمِيَتْ بَصَـائِـرُهُـمْ ، وَمَـادُوا إِذْ رَأَوْا
نَسْـجَ ٱلْعَـنَـاكِبِ سَـدَّ بَـابَ ٱلْـغَـارِ

ظَـنُّـوا بِـأَنَّ ٱلـدَّهْـرَ أَعفَى غَـارَهُمْ
مِـنْ طَـارِقٍ أَوْ عَـابِـرٍ أَوْ سَـارِ

يَئِسُوا .. وَآبُو خائبين بِظَنِّهِمْ
مُتَقَمِّعِينَ بِذِلَّةٍ وَشَنَارِ

جِبْرِيلُ يَشْدُو فِي ٱلسَّمَاءِ مُهَلِّلاً
بِٱلنَّصْرِ يَبْدُو نَاصِعَ ٱلأَنْوَارِ

وَتَصَدَّرَ ٱلتَّارِيخَ مَعْنَىٰ هِجْرَةٍ
جَادَتْ بِفَيْضِ عَطَائِهَا ٱلْمِدْرَارِ

فَمَسِيرَةُ ٱلإِسْلَامِ مِنْهَا أَيْنَعَتْ
وَبِهَا أُقِيمَتْ دَوْلَةُ ٱلآخيارِ

هَذَا هُوَ ٱلإِعْجَازُ حَقّاً فَٱصْدَحُوا
ٱللهُ أَكْبَرُ .. يَا جَلَالَ ٱلْغَارِ

---

* ألقيتُ هذه القصيدة في احتفال « ذكرة الهجرة » الذي أقيم بقاعة المجمع العلمي العربي بدمشق ، بدعوة من « جمعية التمدن الاسلامي » ونشرتها جريدة « الأيام » الدمشقية في اليوم التالي بتاريخ ١٩٤٣/٢/٤ .

ب ...

مَرثِيَة الشهبندر*

يَأْسٌ يَمُورُ عَلَى حُطَامِ رَجَائِي
هَلْ مَنْ يُلَبِّي صَيْحَتِي وَنِدَائِي ؟!

مَالِي أَرَىٰ سُحُبَ ٱلظَّلَامِ تكاثفت
غَرْثَىٰ ، تُبَدِّدُ بَهْجَةَ ٱلأَضْوَاءِ !!

مَـالِي أَرَىٰ شَـمْسَ ٱلْجَـزِيـرَةِ كُـوِّرَتْ
مِـنْ بَـعْـدِ نُـورٍ عَـمَّ فِي ٱلأَرْجَـاءِ

وَأَرَىٰ رِجَـالَ ٱلشَّـامِ فِي حَلَكِ ٱلـدُّجَىٰ
يَـبْـكُـونَ حَـوْلَ مَـنَـابِـرِ ٱلإِيحَـاءِ

بَـدَتِ ٱلْمَحَـاجِـرُ مِنْهُمُ وَدُمُـوعُـهُـمْ
حَـرَّىٰ ، تَهَـامَىٰ ، خُضِّبَتْ بِـدِمَـاءِ

قَـوْمِي أُسَائِلُكُمْ .. فما هو خَطْبُكُمْ ؟
هَـيَّـا أَبِـيـنُـوا عِـلَّةَ ٱلْـلأْوَاءِ

قَـالُـوا : لِعَـارٍ لُـطِّخَتْ بِـوَبَـالِـهِ
دَارُ ٱلْـعُـرُوبَـةِ .. غُـرَّةُ ٱلْـفَـيْـحَـاءِ

لَمَّـا ٱسْتَبَـانَ ٱلْقَـوْمُ كَسْـرَ قَنَـاتِهِمْ
قَـتَـلُوا بِـغَـدْرٍ ، سَـيِّـدَ ٱلـزُّعَـمَاءِ

قَـتَـلُوا بِـغَـدْرٍ ، إِذْ تَـوَلَّـتْ عَـنْهُـمُ
يَـوْمَ ٱلْمَـصِـيـبَـةِ أَعْـيُنُ ٱلـرُّقَـبَـاءِ

قَـتَلُوا بِـغَـدْرٍ ، بَـلْ بِجُبْنٍ عِـنْـدَمَـا
ذَوَتِ ٱلْـعُـيُـونُ بِـكَـبْـوَةِ ٱلإِغْـفَـاءِ

قَتَلُوا بِغَـدْرٍ ، بَـلْ بِكُفْـرٍ ، بَعْـدَمَـا
هَـتَـكُـوا مِـنَ ٱلإِيمَـانِ كُـلَّ رِدَاءِ

قَـتَلُوا بِـغَـدْرٍ ، بَـلْ بِلُؤْمٍ بِئْـسَمَا
هَـانَ ٱلضَّـمِـيرُ بِعُـصْـبَـةِ ٱلإِغْـوَاءِ

قَتَلُوا بِغَدْرٍ لَمْ يَرُعْهُمْ بَعْدَهُ
غَضَبُ ٱلْجُدُودِ وَلَعْنَةُ ٱلآبَاءِ

وَيْحَ ٱلْعُرُوبَةِ إِذْ يُقَالُ بِشَامِهَا
سَقَطَ ٱلزَّعِيمُ ضَحِيَّةَ ٱلأَهْوَاءِ

أَدِمَشْقُ .. يَا رَمْزاً لِكُلِّ فَضِيلَةٍ
مَاذَا دَهَاكِ ..؟ مَحَطَّ كُلِّ رَجَاءِ

يَا وَيْلَنَا !.. مَاذَا نَقُولُ لِقَوْمِنَا
وَلإِهْلِنَا .. بِمَدِينَةِ ٱلزَّوْرَاءِ

عُذْراً لِمِصْرٍ وَٱلْحِجَازِ وَنَجْدِهِ
وَلِكُلِّ صُقْعٍ لِلْعُرُوبَةِ نَاءِ

* * *

يَا رَاوِيَ ٱلتَّارِيخِ مَهْلاً .. لاَ تَلُمْ
مِنَّا ٱلْكِرَامَ بِفَعْلَةِ ٱلسُّفَهَاءِ

فَعَلى ٱلْجُنَاةِ ٱلْجَارِمِينَ فِعَالُهُمْ
سَوِّدْ صَحَائِفَ لُطِّخَتْ بِدِمَاءِ

ثُمَّ ٱرْوِ لِلأَجْيَالِ سوءَ تَآمُرٍ
قَدْ دَبَّرُوهُ بِلَيْلَةٍ ظَلْمَاءِ

وَٱبْكِ ٱلزَّعِيمَ وَفَضْلَهُ مِنْ بَعْدِهِ
دَمْعاً يُثِيرُ كَوَامِنَ ٱلأَحْنَاءِ

فَهُوَ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱللِّوَاءَ بِهِمَّةٍ
هَدَّتْ مِنَ ٱلتَّضْلِيلِ كُلَّ لِوَاءِ

وَغَـدَا يُحَـطِّمُ لِـلْخِـيَـانَـةِ بَـابَهَـا
مُـتَـوَسِّـلاً عَـزْمَ ٱلـنُّهَـىٰ بِمَـضَـاءِ

* * *

سَـكَبَتْ مَعَـارِفُنَـا لِفَـقْـدِ زَعِيمِنَـا
دَمْـعـاً يَـفِـيضُ بِـلَوْعَـةٍ وَسَـخَـاءِ

مَـا كَـانَ يُـرْجَىٰ أن يَمُـوتَ عَلِيمُنَـا
قَـتْـلاً .. تَجَـرَّدَ عَـنْـهُ كُـلُّ وِقَـاءِ

مَنْ لِلْمَنَابِرِ بَعْدَ مَوْتِ خَـطِيبِهَا ..؟
مَـنْ لِـلسِّـيَـاسَـةِ عَـامِـلٌ بِـوَفَـاءِ

مَنْ لِلْمَكَـارِمِ بَعْدَ مَـوْتِ عَمِيدِهَـا ..؟
مَـنْ لِـلْعُـرُوبَـةِ تَحْـتَ كُـلِّ سَـمَاءِ

لَـكِـنَّـمَا صَـحْـبُ ٱلـزَّعِـيـمِ وَنَهْجُـهُ
بِـهِـمُ ٱلـرَّجَـاءُ لِـسَـلْوَتِي وَعَـزَائِـي

فَهُمُـو عَـلَى ٱلنَّهْـجِ ٱلْقَـوِيمِ تَـآلَفُـوا
وَلَهُـمْ مِـنَ ٱلأَنْـدَادِ كُـلُّ وَلاَءِ

فِيهِمْ «زَكِيُّ» ٱلْعَـامِلِينَ «خَـطِيبُهُـمْ»
نَـالَ ٱلْعُـلاَ بِـٱلْهِـمَّـةِ ٱلْـقَـعْـسَـاءِ

لاَ يَـنْـثَـنِي أَبَـداً بِـيَـوْمِ كَـرِيهَـةٍ
شَـهْـمٌ ، أَغَـرُّ ، مَـاجِـدُ ٱلآبَـاءِ

* * *

يَا قَـوْمُ هُـبُّـوا إِنْ أَرَدْتُـمْ عِـزَّةً
وَكَـرَامَـةً ، وَذَرُوا ٱلْبُـكَـا لِـنِسَـاءِ

وَثِقُوا بِأَنَّ زَعِيمَكُمْ حَيُّ ٱلْمُنَىٰ
يَرْنُو إِلَيْكُمْ مِنْ ذُرَىٰ ٱلْعَلْيَاءِ

* * *

عِشْ يَا زَعِيمُ مُخَلَّداً فِي جَنَّةٍ
فَلَقَدْ تَرَكْتَ ذَخِيرَةَ ٱلْخُلَصَاءِ
وَتَرَكْتَ حِصْناً لِلْزَّعَامَةِ خَالِداً
وَتَرَكْتَ نَهْجاً فَيْصَلاً لِعُلَاءِ

* ألقيتُ هذه القصيدة في الاحتفال الكبير الذي أقيم على ضريح المغفور له الزعيم الدكتور عبد الرحمن الشهبندر بمناسبة مرور أربعين يوماً على اغتياله (١٩٤٠/٨/٢٧) .

ب . . .

فيصل - بومبيدو*

كتبت جريدة « صدى لبنان » الصادرة في بيروت يوم ١٩٧٣/٦/١٦ تقول :

كان منتجع جلالة الملك فيصل عاهل المملكة العربية السعودية في جنيف ، خلال فترة الاستجمام التي قضاها جلالته في فندق « انتركونتيننتال » بعد انتهاء زيارته الرسمية لفرنسا في الشهر الماضي مراد كبار رجالات العرب من سياسيين وزعماء ووزراء وسفراء وكتاب وشعراء . فكان المنتجع أشبه ما يكون بندوة عربية نقية ، تتلاقى فيها مع أمسية كل يوم ، في كنف الفيصل سائر الآراء والمواقف التي تتصل بمختلف شؤون الأمة العربية ، خاصة ما يتعلق منها باللقاء التاريخي الذي تم بين الفيصل ورئيس الجمهورية الفرنسية السيد جورج بومبيدو والآمال الكبيرة المعلقة عليه .

وبوحي ذلك الجوّ ، وروحية ذلك اللقاء ، رأى الصحافي الأديب الشاعر الاستاذ بشير العوف الذي شارك في هذه الندوات ، ومضة تاريخية تشير إلى التلاقي الذي تم قبل أكثر من ألف سنة . بين الخليفة العباسي هرون الرشيد وملك فرنسا العظيم « شارلمان » بما انبثق عنه من علائق طيبة قامت آنئذ بين الشرق الاسلامي ، والغرب المسيحي . فسجل ذلك بقصيدة من رائع شعره ، كان لها الوقع الحسن لدى جلالة الفيصل إذ توقع فيها الشاعر أن يكون هذا اللقاء بداية تجديد لعلائق الشرق والغرب تساعد على استرداد حقوق العرب السليبة في فلسطين ، وننشر القصيدة فيما يلي :

لَمْلِمْ رُؤَىٰ آمَالِنَا وَتَعَجَّلِ
وَخُذِ ٱلْقُلُوبَ عَلَى أَغَرَّ مُحَجَّلِ

وَٱحْمِلْ أَمَانِينَا ٱلْعِذَابَ وَسِرْ بِهَا
سَيْرَ ٱلْوَفِيِّ إِلَىٰ رُبُوعِ ٱلْفَيْصَلِ

وَٱنْشِدْ لَهُ شِعْراً تَأَلَّقَ سَبْكُهُ
بِأَرِيجِ حُبٍّ صَادِقٍ مُتَرَسِّلِ

فَشُعُوبُهُ قَدْ بَايَعَتْهُ زَعَامَةً
مَا نَالَهَا مِنْ قَبْلُ حُلْمٌ مُؤَمَّلِ

أَوَ كَيْفَ لَا . . ؟ وَٱلصُّبْحُ أَضْحَى أَبْلَجاً
يَحْكِي تَبَاشِيرَ ٱنْتِصَارٍ مُذْهِلِ

فَبِعَزْمِ فَيْصَلَ ، بَلْ بِحِكْمَةِ رَأْيِهِ
وَصَوَابِ حِنْكَتِهِ ، وَنَهْجٍ أَفْضَلِ

وَبِعُمْقِ بَجْدَتِهِ ، وَطُولِ أَنَاتِهِ
وَنُهَىٰ رِيَادَتِهِ بِسَيْرٍ أَكْمَلِ

سَنُزِيلُ عَارَ هَزِيمَةٍ مَشْؤُومَةٍ
أَدْمَتْ مَرَابِعَنَا بِذُلٍ مُخْجِلِ

سَنُحِيلُهَا ـ مَا دَامَ فِينَا فَيْصَلٌ ـ
مَجْداً يَقُومُ عَلَى ٱلْعِمَادِ ٱلْأَمْثَلِ

فَإِذَا بَلَغْتَ رِحَابَهُ فَٱشْهَدْ لَهُ
أَنَّ ٱلْإِلَٰهَ أَرَادَهُ لِمُؤَثَّلِ

* * *

مَاذَا أَرَىٰ . . ؟ دَارُ ٱلْفِرَنْجَةِ هَا هُنَا . . ؟
أَمْ دَارَةٌ لِلْعُرْبِ لَمْ تَتَبَدَّلِ

قَالُوا : بلى . . ! قَادَ ٱلْقَضِيَّةَ فَيْصَلٌ
فِي كُلِّ سَاحٍ لِلْعُلَىٰ أَوْ مَحْفِلِ

وَأَتَى فِرَنْسَا دَاعِيَاً لِحُقُوقِنَا
فَأَجَابَهُ صَوْتُ ٱلنَّدَىٰ لَمْ يَبْخَلِ

وَلِقَاءُ « بُومْبِيدُو » وَ « فَيْصَلَ » قَدْ غَدَا
فَتْحاً لِخَيْرٍ مُسْتَفِيضٍ مُقْبِلِ

إِنِّي لَأَلْمَحُ فِي ثَنَايَا وَقْعِهِ
ذِكْرَىٰ لِتَارِيخٍ مَجِيدٍ أَوَّلِ

فَهُنَاكَ « هٰرُونُ ٱلرَّشِيدُ » وَيَا لَهُ
مِنْ مُلْهَمٍ فِي حُكْمِهِ لَمْ يَجْهَلِ

أَعْطَىٰ ٱلْوِدَادَ « لِشَرْلُمَانَ » وشَدَّهُ
لِمَوَدَّةٍ مَوْصُولَةٍ لَمْ تَذْبُلِ

بَقِيَتْ عَلَىٰ مَرِّ ٱلزَّمَانِ أَصِيلَةً
لَا تَسْأَلَنْ عَنْ طِيبِهَا لَا تَسْأَلِ

وَٱلْيَوْمَ جَدَّدَ فَيْصَلٌ تَارِيخَنَا
فَٱسْتَبْشِرِي يَا أُمَّتِي مِنْ فَيْصَلِ

* * *

وَٱلْبُحْتُرِيُّ أَرَادَ فَيْصَلَ فِي ٱلنُّهَىٰ
إِذْ قَالَ قَوْلَةَ وَاثِقٍ مُتَهَلِّلِ :

« لَـوْ أَنَّ مَجْـدَكَ لَمْ يَكُـنْ مُـتَـقَـادِمـاً
أَغْـنَـاكَ آخِـرُ سُـؤْدَدٍ عَـنْ أَوَّلِ

رَغَّبْتَ قَـوْمـاً فِي ٱلسَّمَـاحِ وَأَيْـنَ هُمْ
إِنْ سَـاجَلُوكَ مِنَ ٱلسِّمَـاكِ ٱلأَعْـزَلِ

سَـامُـوكَ مِنْ حَسَـدٍ فَـأَفْضَـلَ مِنْهُـمُ
غَـيْرُ ٱلْجَوَادِ ، وَجَـادَ غَـيْرُ ٱلْمُفْضِـلِ

فَبَـذَلْتَ فِينَـا مَـا بَـذَلْتَ سَمَـاحَـةً
وَتَكَـرُّمـاً ، وَبَـذَلْتَ مَـا لَمْ يُبْـذَلِ

وَتَصَـرَّفَتْ بِـكَ فِي ٱلْمَـنَـازِلِ هِمَّـةٌ
نَـزَلَتْ مِنَ ٱلْعَلْيَـاءِ أَعْـلَىٰ مَـنْـزِلِ »

* * *

عَبْـدُ ٱلْعَـزِيـزِ أَبُـوكَ قَـدْ أَهْـدَيْتَـهُ
فِي ٱلْخُلْدِ نَـفْحَـةَ نَـاظِـرٍ مُـتَـأَمِّـلِ

أَرْضَيْتَـهُ ، أَرْضَـيْتَ رَبَّـكَ ، وَٱلْعُـلَا
أَرْضَـيْتَ تَـارِيـخَ ٱلْجِـهَـادِ فَـأَكْمِـلِ

وَسَتَشْهَـدُ ٱلـدُّنْيَـا لِفَـيْصَـلَ أَنَّـهُ
نُـورٌ تَـأَلَّقَ ، ضِـمْنَ لَـيْـلٍ أَلْيَـلِ

جنيف ـ ١٩٧٣/٥/٢٠

* نشرت هذه القصيدة أيضا في جريدة « الزمان » البيروتية ، وأذاعها « تلفزيون المملكة العربية السعودية أكثر من مرة ، ونشرها عدد من الصحف والمجلات السعودية .

السحاب الدّاكن*

أَثْقَلْتَ كَاهِلَ أَرْضِنَا
فَمَتَى تُغَادِرُ يَا سَحَابْ
وَجَثَمْتَ فَوْقَ سَمَائِنَا
تَخْتَالُ فِي تِيهٍ عُجَابْ

وَحَجَبْتَ نُورَ ٱلشَّمْسِ لَا
تَبْغِي ٱلْمَحَجَّةَ وَٱلصَّوَابْ
وَحَمَلْتَ قَسْوَةَ أَدْهُرٍ
وَشَرَعْتَ أَسْبَابَ ٱلْعَذَابْ
وَطَوَيْتَ كُلَّ غَمَامَةٍ
جَادَتْ بِغَيْثٍ مُسْتَطَابْ
وَرَسَمْتَ فِي حَلَكِ ٱلدُّجَىٰ
سُودَ ٱلْمَسَالِكِ وَٱلشِّعَابْ
سُحُباً دَوَاكِنَ لَيْسَ فِي
طَيَّاتِهَا إِلَّا ٱكْتِئَابْ

فَكَأَنَّهَا ظُلَمٌ عَلَى
ظُلَمٍ يُجَاذِبُهَا ٱلْعُبَابْ

لَا غَيْثَ فِيهَا يُرْتَجَىٰ
لَا خَيْرَ يُؤْذِنُ بِٱقْتِرَابْ

لَا بَرْقَ يَلْمَعُ عَابِراً
لَا ضَوْءَ يُومِضُ مِنْ شِهَابْ

فَظَلَامُهَا هَصَرَ ٱلْمُنَىٰ
وقتومها أَذْوَىٰ ٱلشَّبَابْ

وَٱلْيَأْسُ كَادَ يُذِيبُنَا
وَٱلْهَمُّ يَجْلُوهُ ٱلْعِتَابْ

وَٱلضَّنْكُ أَرْمَضَ حَيَّنَا
وَٱلْجُرُّ يُرْهِقُهُ ٱلْكِذَابْ

وَٱلْعَيْشُ بَاتَ كَمَا تَرَىٰ
مِزَقاً عَلَى ظُفُرٍ وَنَابْ

سِرْ وَٱنْقَشِعْ، فَٱلظُّلْمُ قَدْ
أَرْخَىٰ ٱلسُّدُولَ عَلَى ٱلرِّقَابْ

سِرْ فِي فَضَائِكَ لَا لَقَيْتَ
ـ عَلَى ٱلْمَدَىٰ حُسْنَ ٱلْمَآبْ

فَإِلَىٰ مَ تَبْقَى قَابِعاً..؟
وَمَتَىٰ تُغَادِرُ يَا سَحَابْ؟!

لِـنَـرَىٰ إلـضِّـيَـاءَ وَنَـنْـتَـشِـي
وَنَـرَىٰ آلـسَّـمَاءَ بِـلَا حِـجَـابْ
وَنُـعَـانِـقَ آلآمَـال لَا
نَـحْـيَـا عَـلَىٰ خِـدَعِ آلـسَّـرَابْ
وَنَـرَىٰ عَـلَىٰ آلأُفُـقِ آلْجَـمِـيـلِ ـ
ـ بَـشَـائِـراً بِـيـضـاً عِـذَابْ
نَـرْنُـو لَهَـا بِـآلْـقَـلْبِ أَوْ
نَـنْـسَـىٰ بِهَـا وَقْـعَ آلْمُـصَـابْ
فَـلَكَـمْ نُهَدْهِـدُ فِـكْـرَنَـا
وَنَهِـمُ فِي أَمَـلِ آلـطِّلَابْ

وَنَـذُوبُ فِي أَحْـلَامِـنَـا
كَـآلْـثِـرِّ أَنْهَـكَـهُ آلـشَّـرَابْ
وَنَـظَلُّ نَـأْسُـو جُـرْحَـنَـا
وَنَـظَلُّ نَـبْـسِـمُ لِـلْصِّـعَـابْ
وَنَـظَلُّ نَـرْقَـبُ شَـمْـسَـنَـا ..
فَـمَـتَىٰ تُـغَـادِرُ يَـا سَـحَـابْ ..؟!

* أناخ الحكم الناصري على سورية بكلكلة في مطلع عام ١٩٥٨م واشتدت وطأته على السوريين بين عامي ١٩٦٠/١٩٦١ . وفي شهر كانون الأول من عام ١٩٦٠ كانت هذه القصيدة .

وحي الطفولة*

مُهداة إلى ابنَتي مؤمنة في ذكرى ميلادها الأول

جَـوٌّ مِـنَ ٱلأَحْـلَامِ وَٱلآمَـالِ ـ
ـ يَغْمُـرُهُ ٱلشُّـعُـورْ
هَـبَّـتْ نَـسَـائِـمُـهُ ٱللَّطَافُ ـ
ـ كَـأَنَّهَا هَمْسٌ وَنُـورْ

فَـسَـمِـعْـتُ غَـمْـغَـمَـةَ ٱلـسَّـمَا
وَسَـمِـعْـتُ هَـيْـنَـمَـةَ ٱلـطُّيُـورْ
تَحْـدُو بِـعَـذْبِ غِـنَـائِـهَـا
مَـهْـدَ ٱلـطُّفُـولَـةِ وَٱلـسَّـرِيـرْ
حَـيْـثُ ٱلْـبَـرَاءَةُ وَٱلسَّـذَاجَـةُ ـ
ـ زَانَهَا حُـلْوُ ٱلْـغُـرُورْ
حَـيْـثُ ٱلْـوَدَاعَـةُ وَٱلـطُّفُـولَـةُ ـ
ـ شَـابَهَـا ٱلَّـلهْـوُ ٱلـطَّهُـورْ

* * *

وَيْـحَ ٱلـطُّفُـولَـةِ .. إِنَّهَا
سَـاعَـاتُ فِي ٱلْـعُـمْـرِ ٱلْـقَـصِـيرْ

طَافَتْ بِنَجْوَاهَا ٱلْمَلَائِكُ
ـ فِي تَسَابِيحِ ٱلْبُكُورْ
وَتَجَاذَبَتْ أَلْحَانُهَا ، حَيْرَىٰ ـ
ـ عَلَى مَوْجِ ٱلأَثِيرْ

* * *

كَمْ دَغْدَغَتْ أَعْطَافَهَا . .
نَسَمَاتُ فِي ٱلرَّوْضِ ٱلنَّضِيرْ
أَوْ دَاعَبَتْ أَجْفَانَهَا
أَحْلَامُ ، فِي ٱلْكَوْنِ ٱلْكَبِيرْ
أَوْ ذَابَ فِي أَسْمَاعِهَا
جَرْسُ ٱلْجَدَاوِلِ وَٱلْخَرِيرْ

فَتَنَسَّمَتْ نَفْحَ ٱلزَّنَابِقِ ـ
ـ وَٱلأَزَاهِرِ وَٱلْعَبِيرْ
تَحْتَ ٱلْخَمَائِلِ فِي ظِلَالِ ـ
ـ ٱلأَيْكِ وَٱلأُفُقِ ٱلْمُنِيرْ
وَيْحَ ٱلطُّفُولَةِ إِنَّهَا
عَيْشُ ٱلسَّعَادَةِ وَٱلسُّرُورْ
تَحْيَا بِأَفْرَاحٍ فَلَا
تَشْكُو ٱلْحَيَاةَ وَلَا تَثُورْ
وَتَظَلُّ تَبْسِمُ لِلْمُنَىٰ
وَتَظَلُّ تَرْفُلُ بِٱلْحُبُورْ

* * *

وَيْـحَ آلـطُّفُـولَـةِ .. إنَّهَا
سَـاعَـاتُ فِي آلْـعُـمْـرِ آلْـقَـصِـيرْ
فَـتَـمَـتَّـعِـي يَـا طِـفْـلَتِي
فِي لَـذَّةِ آلأَمَـلِ آلْـغَـرِيـرْ

* نشرت هذه القصيدة في كانون الأول عام ١٩٤٣م بجريدة « الأيام » في دمشق .

القسم الثاني

من فيض الوجدان

معبـــد..!

قَمَرَ ٱلسَّمَاءِ .. أَأَنْتَ مِثْلِيَ مُوجَعُ ؟
تَبْكِي ٱلْهَوَىٰ .. أَمْ هَلْ نَبَا بِكَ مَضْجَعُ ؟
فَأَنَا وَأَنْتَ ٱلسَّاهِرَانِ لَعَلَّنَا
يَا بَدْرُ نُدْعَىٰ لِلْوِصَالِ فَنَهْرَعُ ..!

* * *

نَعِمَتْ عُيُونُ ٱلنَّاسِ فِي حُلْوِ ٱلْكَرَىٰ
وَأَنَا ٱلْمُؤَرَّقُ مُقْلَتِي لَا تَهْجَعُ

ذِكْرُ ٱلأَحِبَّةِ فِي ٱلْفُؤَادِ وَمَا أَرَىٰ
سَلْوَىٰ .. وَفِيهِمْ لَا يَجُفُّ ٱلْمَدْمَعُ

* * *

أَحْبَبْتُهَا يَا شَاعِرِي جُهْدَ ٱلْهَوَىٰ
حُبًّا تَذُوبُ لَهُ الْقُلُوبُ وَتَهْلَعُ

مَلَكَتْ عَلَيَّ مَشَاعِرِي فَكَأَنَّهَا
خُلِقَتْ لِتَأْمُرَنِي .. وطوعاً أَصْدَعُ

هِيَ مُنْيَةُ ٱلْحُلْمِ ٱلْجَمِيلِ وَإِنَّهَا
رَمْزُ ٱلْجَلَالَةِ وَٱلْعُلَا ، بَلْ أَرْفَعُ

هِيَ مَعْبَدٌ فِي طُهْرِهَا لَمْ يَأْتِهَا
إِلَّا تَقِيٌّ .. فِي صَلَاةٍ يَخْشَعُ

فَلَقَدْ سَجَدْتُ ٱلْفَجْرَ فِي مِحْرَابِهَا
وَلَدَى ٱلظَّهِيرَةِ بِٱلْخُشُوعِ سَأَرْكَعُ

آمَنْتُ بِٱلرَّحْمٰنِ بَارِىء حُسْنِهَا
فَلَهُ ٱلإِنَابَةُ .. وَٱلنَّبِيُّ سَيَشْفَعُ

عاهدتُ..!

عَـاْهَـدْتُ بِـالـدُّرِّ الْمُنَضَّـدِ ـ
ـ فِـي مُـقَـبَّـلِهِ الأَغَـرِّ
وَبِـفِـتْـنَـةٍ سَـجَـدَ الْـهَـوَىٰ
لِـجَـلَالِـهَـا ، وَبِـحُـلْوِ شَـعْـرِ

وَبِـسِـرِّ لَـحْظٍ فَـاتِـكٍ
وَبِـعَـطْفِ جِـيـدٍ بَـلْ بِـنَـحْـرِ
مُـقَـلٌ يَـلُوذُ بِـهَـا الْـهَـوَىٰ
أَبَـدَاً .. فَـمَـا يُـطْوَىٰ بِـسِـرِّ
وَبِـكُـحْـلَةٍ .. عُـلْـوِيَّةٍ
تَـحْـكِـي لَـنَـا أَمْجَـادَ سِـحْـرِ
طَـافَـتْ بِـنَـجْـوَاهَـا رُمُـوشٌ ـ
ـ تَـزْدَهِـي .. إِكْـلِـيـلَ نَـصْـرِ
وَبِوَجْنَتَـيْـنِ ، كَـوَرْدَتَـيْـنِ ـ
ـ تَـنَـاجَـتَـا ـ سِـرّاً ـ بِـجَـهْـرِ

تَتَبَادَلاَنِ عَلَى ٱرْتِشَافَاتِ ـ
ـ ٱلْمُنَى أَطْيَابَ نَشْرِ
وَبِمَبْسِمٍ عَذْبِ ٱلْحَدِيثِ ـ
ـ مُرَقْرَقٍ ، كَنَدِيِّ قَطْرِ
يَرْنُو لَهُ طَيْفُ ٱلْمَلاَئِكِ ـ
ـ فِي ٱبْتِهَالاَتٍ وَبِشْرِ
وَبِقَامَةٍ .. مَشْبُوبَةٍ
تَخْتَالُ فِي دَلٍّ وَخَفْرِ
مَيَّاسَةٍ فِي قَدِّهَا
رَيَّانَةٍ بِأَرِيجِ عِطْرِ

بِجَمَالِهِ .. بِدَلاَلِهِ ..
بِطُيُوبِهِ .. بِرُضَابِ ثَغْرِ
بِصُدُودِهِ .. بِوِصَالِهِ ..
بِنُفُورِهِ .. بِجَمِيلِ بِرِّ
لَمْ أَهْوَ فِي عُمْرِي ـ
ـ سِوَاهُ ، وَمَا حَنَّتْ أَنَا بِشِعْرِي
لَم أَهْوَ غَيْرَ ٱلظَّبْيَةِ ـ
ـ ٱلشَّقْرَا وَإِنْ أَفْشَيْتُ سِرِّي
يَالاَئِمِي ..! لِمَ لَمْ تَلُمْ ..؟
فَٱللَّوْمُ ، فِيهِ كَمَالُ فَخْرِي ..!

رُوحِـي فِـدَاهُ ، وَدَامَ فِـي
إِسْـعَـادِهِ ، يُـمْـنـاً بِـيُـسْـرِ

حكايةُ حبِّي

لَـمَّـا رَأَيْـتُ آلـظَّـبْـيَ أَوَّلَ مَـرَّةٍ
وَرَمَـقْـتُ مَـبْـسِـمَـهُ وَعَـيْـنَ رِضَـاهُ
أَيْـقَـنْـتُ أَنِّي قَـدْ وَقَـعْـتُ بِـحُـبِّـهِ
وَبِـهَـمْـسَـةٍ قَـدْ شَـدَّنِـي لِـهَـوَاهُ

فَسَقَيْتُهُ صِرْفاً بِكَأْسِ مَوَدَّةٍ
وَسَقَا فُؤَادِيَ مِنْ سَخِيِّ نَدَاهُ

وَلَبِثْتُ عُمْراً أَسْتَظِلُّ بِدِفْئِهِ
وَأَعُبُّ رَيّاً مِنْ لَمَىٰ رَيَّاهُ

وَرَتَعْتُ فِي ٱلنُّعْمَىٰ خَدِينَ لَطَائِفٍ
عَيْنِي ـ وَحَقِّكَ ـ مَا رَأَتْ شَرْوَاهُ

* * *

وَمَضَىٰ قِطَارُ ٱلْعُمْرِ جَذْلاَنَ ٱلْمُنَىٰ
أَمْسِي وَيَوْمِي فِي رُبَىٰ مَغْنَاهُ

كَمْ فِي ظِلاَلِ ٱلْحُبِّ بِتْنَا هُيَّماً !
كَمْ غَازَلَتْ مِنَّا ٱلشِّفَاهَ شِفَاهُ !

إِنْ أَنْسَ لاَ أَنْسَىٰ عَبِيرَ طُيُوبِهِ
أَوْ أَنْسَ لاَ أَنْسَىٰ رَحِيقَ جَنَاهُ

فَٱلْعِطْرُ فَوَّاحٌ بِطَيِّ ثِيَابِهِ
وَأَرِيجُ طِيبَةَ ، فِي لَمَىٰ نَجْوَاهُ

وَإِذَا رَنَا أَلِقاً وَثَانِيَ عِطْفِهِ
خِلْتَ ٱلْمَلاَئِكَ فَوْقَهُ تَرْعَاهُ

أَللهُ أَلْبَسَهُ ٱلْبَهَاءَ وَزَانَهُ
بِرَقِيقِ مَعْشَرِهِ وَحُلْوِ سَنَاهُ

فِيهِ ٱلْخَلاَئِقُ أَيْنَعَتْ مِعْطَاءَةً
وَبِهِ صَفِيُّ ٱلْوِدِّ .. مَا أَصْفَاهُ !!

وَلَقَلَّمَا يَصْفُو ٱلْوِدَادُ مَعَ ٱلْهَوَىٰ
إِنَّ ٱلْهَوَىٰ وِدٌّ .. وَلَيْسَ سِوَاهُ

فَإِذَا صَفَا .. فَهُوَ ٱلْهَوَىٰ ، مِفْتَانَةٌ
جَنَّاتُهُ .. لَا يُسْتَبَاحُ حِمَاهُ

وَإِذَا جَفَا فَهُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلنُّكْرُ لَا
أَسَفٌ عَلَيْهِ ، وَلَا عَلَى دُنْيَاهُ

كَمْ ذَاقَ أَوْصَابَ ٱلْمَحَبَّةِ عَاشِقٌ
خَسِرَ ٱلْوِدَادَ .. فَلَمْ تُفِدْ « أَوَّاهُ »

إِلَّا أَنَا - وَحْدِي - رَتَعْتُ بِجَنَّةٍ
سَكَبَتْ بِهَا أَحْلَىٰ ٱلْمُنَىٰ عَيْنَاهُ

قُولُوا - بِرَبِّكُمُ - أَأَنْسَىٰ عَهْدَهُ ؟!
لَالَا .. - وَحَقِّ ٱلطُّهْرِ - لَنْ أَنْسَاهُ !

لَكِنَّنِي أَخْشَىٰ زُؤَامَاتِ ٱلرَّدَىٰ
وَيْحَ ٱلرَّدَىٰ .. !! هُوَ ذَاكَ مَا أَخْشَاهُ

إليكِ أنتِ

بَـادِرْ فُـؤَادَكَ بِـالْيَـقِيـنِ فَـإِنَّ فِي
حَـرَمِ ٱلْجَمَالِ تَهَجُّـدِي وَسُجُـودِي

فَـأَنَـا رَهِـيـنُ قِـيَـادِهِ وَأَرَىٰ بِـهِ
مَعْنَىٰ ٱلْحَيَـاةِ ، وَغَـايَتِي وَوُجُـودِي

لَـوْلَا جَمَـالُـكِ لَمْ أَذُقْ طَعْمَ ٱلْـهَنَـا
لَوْلَا صَفَـاؤُكِ مَـا حَـطَمْتُ قَـيُـودِي

فَـأَنَـا بِحُبِّـكِ قَـدْ سَمَـوْتُ إِلَى ٱلْعُـلَا
وَأَنَـا لَـقِـيـتُ رَغَـائِبِـي وَعُـهُـودِي

وَأَنَـا بَـلَغْتُ مَـعَ ٱلسُّـمُـوِّ مَـدَارَهُ
وَأَنَـا وَجَـدْتُ هَـنَـاءَتِي وَسُـعُـودِي

تِيهِي بِعَـرْشِـكِ وَٱزْدَهِي بِجَـلَالِـهِ
وَصِلِي ٱلْفُـؤَادَ بِـظِلِّكِ ٱلْـمَـمْـدُودِ

فَـأَنَـا ٱلْـوَفِيُّ ، إِلَيْـكِ كُـلُّ مَشَـاعِـرِي
وَإِلَيْـكِ عَهْـدِي فِي ٱلْهَـوَىٰ وَشُهُـودِي

فَـخُـذِي فُـؤَادِي وَٱنْـشُـرِيـهِ أَزَاهِـراً
وَضَـعِـيـهِ فَـوْقَ زَنَـابِـقِـي وَوُرُودِي

إِنِّي وَجَـدْتُ مَـعَ ٱلْـجَـمَـالِ وَفَـاءَهُ
إِنِّـي وَجَـدْتُ خَـلَائِـقِـي وَبُـرُودِي

سَنَـظَلُّ فِي حَـرَمِ ٱلْمَحَبَّـةِ مَـالَنَـا
غَـيْـرُ ٱلْـوِصَـالِ كَـطَارِفٍ وَتَـلِيـدِ

هـامبورغ*

شَـطَّتْ بِـأَحْـلَامِي ٱلنَّـوَىٰ وَنَـاَىٰ ٱلسَّفَـرْ
وَغَـدَوْتُ مُنْـطَلِقَ ٱلْجَنَـاحِ مَـعَ ٱلْقَـدَرْ

فَـأَطُـوفُ فِي طُـولِ ٱلْبِـلَادِ وَعَـرْضِهَـا
وَأُعَـانِـقُ ٱلآمَـالَ فِـي حُـلْوِ ٱلْـغُـرَرْ

أَمْضِي إِلىٰ مُتَعِ ٱلْحَيَاةِ أُعَبُّهَا
عَبّاً فَمَا أُبْقِي ٱلثُّمَالَةَ أَوْ أَذَرْ

وَيْحِي . . ! فَمَا غَادَرْتُ مَرْتَعَ جَنَّةٍ
إِلاَّ وَفِي قَلْبِي مِنَ ٱلنَّجْوَىٰ أَثَرْ

« هَمْبُورْغُ » يَا مَهْوَىٰ ٱلْفُؤَادِ ، وَيَا مُنَىٰ
نَفْسِي ، إِذَا مَا ٱللَّيْلُ أَقْبَلَ وَٱنْتَشَرْ

إِنْ أَنْسَ لاَ أَنْسَىٰ ـ وَعَهْدِكِ ـ لَيْلَةً
حَمْرَاءَ . . تَسْطَعُ بِٱللَّهِيبِ وَبِٱلشَّرَرْ

مَرَّتْ عَلَيَّ كَحُلْمِيَ ٱلْغَالِي وَمَا
نُبِّئْتُ أَنَّ مُرُورَهَا لَمْحُ ٱلْبَصَرْ

يَا ظُلْمَهَا . . ! مِنْ لَيْلَةٍ قَدْ أَشْرَقَتْ
شَمْسُ ٱلضُّحَىٰ بِسَمَائِهَا . . قَبْلَ ٱلسَّحَرْ

فَإِذَا ذَكَرْتُ ٱلْيَوْمَ رَجْعَ حَدِيثِهَا
عَاوَدْتُ ذِكْرَ ٱلْوَجْدِ عَلَّلَهُ ٱلسَّهَرْ

ذَرْنِي ـ بِرَبِّكَ ـ فِي حَنَايَا وَحْدَتِي
أَسْكُبْ عَلَىٰ لَحْنِ ٱلْهَوَىٰ . . أَسْمَىٰ ٱلْفِكَرْ

سَأَعِيشُ فِي كَنَفِ ٱلْخَيَالِ مَعَ ٱلرُّؤَىٰ
أَجْلُو عَلَى حُلْوِ ٱلْمُنَىٰ . . وَحْيَ ٱلصُّوَرْ

---

* تلبية لدعوة من حكومة المانيا الغربية ، شاركت في وفد صحفي زار تلك البلاد في تشرين الأول عام ١٩٥٤ .

وفي مدينة « هامبورغ » كتبت هذه القصيدة ونشرتها بعدئذ في العدد ٩٣٤ من جريدة « المنار » خلال سلسلة المقالات التي كتبتها في الجريدة بعنوان : « اسبوعان في ربوع المانيا الاتحادية » .

راهبة..*

لَبِسَتْ مُسُوحَ ٱلرَّبِ وهي صَبِيَّةٌ
تَرْنُو بِلَحْظٍ سَاحِرٍ مُتَهَلِّلِ
لَمَّا بَدَتْ وَٱلْوَجْهُ يَنْطِقُ بِٱلْمَفَاتِنِ ـ
ـ وَٱلرُّؤىٰ كَٱلنَّيِّرِ ٱلْمُتَجَمِّلِ

أَكْبَرْتُ خَلْقَ ٱللهِ جَلَّ جَلَالُهُ
وَسَجَدْتُ سَجْدَةَ عَابِدٍ مُتَبَتِّلِ
وَجَثَوْتُ فِي حَرَمِ ٱلْجَمَالِ وَبِي جَوًى
وَهَوًى لِرَاهِبَةٍ .. وَصِدْقُ تَغَزُّلِ
أَخْفَتْ مَحَاسِنَ شَعْرِهَا بِحِجَابِهَا
وَيْحَ ٱلْحِجَابِ ٱلأَسْوَدِ ٱلْمُتَهَدِّلِ ..!
أَحْنَىٰ جَوَانِحَهُ عَلَيْهِ وَشَفَّهُ
لِلْوَجْهِ وَجْدُ صِبًى .. فلم يَتَجَمَّلِ
تَعْساً له ..! أَيْ لِلْحِجَابِ فَإِنَّهُ
قَدْ لَفَّ بَدْراً في سَوَادٍ مُذْهِلِ

مَـا ضَـرَّهُ . . . بَـلْ زَادَ فِـتْنَـةُ وَكَـمْ
رَتَـعَ ٱلْغَمَامُ عَلَى أَغَـرَّ مُحَجَّلِ . . !

شُكْـراً لـهـا . . لِـتَـحِيَّـةٍ مِـعْـطَارَةٍ
سَكَبَتْ عَلَى وَجْدِي رَحِيقَ ٱلسَّلْسَـلِ

حَيَّتْ بِـرَأْسٍ ، بَـلْ بِثَغْـرٍ بَـاسِـمٍ
تَـبْـدُو لآلِئُـهُ ، كَـدُرٍّ مُـجْـمَـلِ

بِـأَبِي تَحِيَّتُهَـا ، وَبَسْـمَـةُ ثَغْـرِهَـا
وَبَـهِـيُّ طَـلْعَـتِـهَـا ، كَـنَـوْرٍ مُـقْـبِـلِ

بِـأَبِـي ٱلـرَّوَاهِـبُ كُـلُّهُـنَّ لأَجْـلِهَـا
بِـأَبِي وَنَفْسِي كُـلُّ طَـرْفٍ أَكْـحَـلِ

* نشرت في العدد ٧٤٩٩ من جريدة « الأيام » بدمشق ١٩٦١/١٢/٣١م .

لِفِّي وشاحكِ *

لُـفِّـي وِشَـاحَـكِ فَـٱلـنُّـجُـومُ تَـرَاكِ
يَـا مَنْ رَشَفْتُ نَـدَىٰ الهـوى بِنَـدَاكِ

إِنِّـي أَغَـارُ . . وَفِـي فُـؤَادِي خَـافِقٌ
يَـهْـوَىٰ وَيَـعْـشَـقُ أَنْ يَـكُـونَ فِـدَاكِ

لُفِّي وِشَـاحَـكِ فَـآللَّحَـاظُ فَـوَاتِـكُ
وَأَنَـا أَغَـارُ عَـلَيْـكِ مـن نَـجْـوَاكِ

وَتَـرَفَّـقِي بِـمُـتَيَّـمٍ عَـشِـقَ ٱلْـعُـلاَ
وَثِقِي ـ مُنَـايَ ـ فَمَـا عَشِقْتُ سِـوَاكِ

لُفِّي وِشَـاحَـكِ فَـآلْهَـوَىٰ يَـا حُلْوَتِي
حُـلْوٌ، وَفِـيـهِ أَرَىٰ جَـلاَلَ سَـنَـاكِ

فِـيـكِ ٱلْـجَـمَـالُ أُجِـلُّهُ وَأَصُـونُـهُ
وَبِيَ ٱلْمُنَىٰ .. تَهْفُـو لِقُـدْسِ عُـلاَكِ

لُـفِّي وِشَـاحَـكِ إِنَّ لَـحْـظَكِ فَـاتِـنٌ
وَٱلـثَّـغْـرُ فِـيـهِ فَـوَاجِـعٌ لِـعِـدَاكِ

يَـا مَبْسِمـاً لَمْلِمْ ـ بِسِحْـرِكَ ـ فِتْنَـةً
سَكَبَتْ عَـلَيَّ مَشَـاعِـرَ ٱلنُّـسَّـاكِ

لُفِّي وِشَـاحَكِ سَـاعَـةً فَبِـكِ ٱلْهُـدَىٰ
ـ قَسَـمـاً ـ وَإِنِّـي مُـؤْمِـنٌ بِـتُـقَـاكِ

فَتَـرَفَّقِي ..! هَـذَا ٱلْـوِشَـاحُ يُـذِيبُنِي
نَفْسِي ٱلْفِـدا لِـوِشَـاحِكِ الفتـاكِ ..!

غفوة..!*

أَغْفَتْ عَلَى لَحْنِ ٱلْهَوَىٰ
إِغْفَاءَةً ... تَتَكَلَّمُ

وَرَنَتْ إِلَى حُلْوِ ٱلرُّؤَىٰ
مِفْتَانَةً ... لَا تَرْحَمُ

ذَابَتْ عَلَى أَحْلَامِهَا
نَشْوَانَةً ... تَتَضَرَّمُ

وَبَدَتْ لَهَا أَطْيَافُهَا
وَثَّابَةً ... تَتَرَنَّمُ

يَا سِحْرَهَا فِي غَفْوَةٍ
تُدْمِي ٱلْقُلُوبَ وَتُكْلِمُ

***

أَغَفَتْ عَلَى لَحْنِ ٱلْهَوَىٰ
إِغْفَاءَةً ... تَتَكَلَّمُ

فَتَّاكَةً ... سَكْرَىٰ وَفِي
شَجْوٍ نَدِيٍّ تَحْلُمُ

مَـالَـتْ بِـرَأْسٍ حَـالِـمٍ
.. مُـتَـجَـلِّدٍ ... يَـتَـكَـتَّـمُ
يَـهْـنِـيـكَ يَـا كَـتِـفـاً .. فَـأَنْـتَ
ـ بِـحُـسْـنِـهَـا تَـتَـكَـرَّمُ
يَـا سِـحْـرَهَـا فِـي غَـفْـوَةٍ
تُـدْمِـي ٱلْـقُـلُوبَ وَتُـكْـلِمُ

* * *

أَغْـفَـتْ عَـلَى لَـحْـنِ ٱلْـهَـوَى
إِغْـفَـاءَةً ... تَـتَـكَـلَّمُ
فَـٱلْـوَرْدُ فِـي وَجَـنَـاتِـهَـا
عِـطْـرٌ يُـشَـمُّ وَيُـلْـثَـمُ

رَاحَـتْ تُـهَـدْهِـدُهَـا جُـفُـونُ
ـ حَـالِـمَـاتٌ .. تَـبْـسِـمُ
فَـتَـزِيـدُ فِي سِـحْـرِ ٱلْـمَـفَـاتِـنِ
ـ مَـا يُـذِيـبُ وَيُـسْـقِـمُ
يَـا سِـحْـرَهَـا .. فِـي غَـفْـوَةٍ
تُـدْمِي ٱلْـقُـلُوبَ وَتُـكْـلِمُ

* لحّن هذه القصيدة الاستاذ رفيق شكري وغنّتها المطربة السيدة تغريد محمد واذيعت مرات كثيرة من اذاعة دمشق واذاعات البلاد العربية (شباط ١٩٤٩م) .

جُمانتي*

فَتَّانَةَ ٱلـرَّوْضِ ٱسْمَعِي .. فَجُمَانَتِي
تَـزْهُـو عَلَىٰ رَوْضِ ٱلـدُّنَىٰ وَتُفَاخِـرُ
لُفِّي شِبَـاكَـكِ وَٱنْثَنِي عَـنِّي ، فَمَـا
أَنَـا بِٱلخَؤُونِ ... وَلَسْتُ فيه أُصَـابِرُ

لُفِّي شِبَـاكَـكِ .. إِنَّ قَلْبِي مُـوْصَـدٌ
دُونَ ٱلْهَـوَىٰ ... وَهُوَ ٱلْجَمُـوحُ ٱلثَّائِرُ

هَيَّا ٱحْمِلِي سِحْرَ ٱلْمَفَـاتِنِ ، وَٱرْتَقِي
نَحْـوَ ٱلْعُـلَا ... إِنِّي عَلَيْـكِ أُحَـاذِرُ

أَنَـا مُؤْمِنٌ ، وَمُـوَحِّـدٌ ، وَٱلشِّـرْكُ في
شَـرْعِ ٱلْهَـوَىٰ لَا تَـرْتَضيهِ ضَمَـائِـرُ

مَـلَكَ ٱلْـوَفَـاءُ أَعِنَّتي ، فَـجُمَـانَتِي
أَسَـرَتْ فُـؤَادِي وَهْـوَ راضٍ شَـاكِـرُ

قَـدْ لَفَّنَـا بِـٱلْحُبِّ في صِـدْقِ ٱلْهَـوَىٰ
رُوحٌ يَـرِفُّ عَـلَى وِدَادٍ طَـاهِـرُ

أَنَـا إِنْ ذَكَـرْتُ قَـرِينَتِي فَـوفَـاءُهَـا
حَـرَمٌ ، تَـحُـفُّ بِـهِ رُؤًى وَمَـآثِـرُ
أَنَـا إِن ذَكَـرْتُ خِصَـالَهَـا فَمَحَـجَّـةٌ
لِلْفَـاضِـلَاتِ ... أَصَـائِـلٌ وَحَـرَائِـرُ
هَيَّا ٱسْحَبِي ذَيْلَ ٱلْغَـوَايَـةِ وَٱرْحَلِي ،
إِنِّي إِلَى حَرَمِي ٱلْمُقَدَّسِ سَائِرُ ..!

* نشرت في جريدة « دمشق المساء » كانون الأول ١٩٥٩م .

أَنَا و"الوحـدة"!*

لَـمْلَمْتُ عَـهْـدَ وِدَادِهَـا وَطَـوَيْـتُـهُ
وَلَـزِمْـتُ دَرْبَ عِـبَـادَتِي وَسَـكَـنْـتُـهُ
يَـا أَيُّـهَـا ٱلْقَـدَرُ ٱلَّـذِي غَـالَبْتَنِي
أَضْـنَيْـتَ قَلْبِي في ٱلْـهَـوَىٰ وَأَذَبْـتَـهُ

رُوحِي فِـدَاكَ إِذَا مَـرَرْتَ بِبَيْتِـهَـا
فَـاذْكُـرْ فُـؤَادَاً أَنْـتَ كُـنْـتَ ظَـلَمْـتَـهُ

قَسَـماً بِحُبِّي مَـا خَفَـرْتُ ذِمَـامِـهَـا
بَـلْ صُنْتُ مَعْنَىٰ وَصْلِهَـا وَحَـفِـظْتُـهُ

كَـذَبَ ٱلْوُشَـاةُ فَمَـا طَـرَقْتُ دِيَـارَهَـا
إِلَّا عَـلَى طُـهْـرٍ وَأَنْـتَ رَعَـيْـتَـهُ

فَـإِذَا حَجَبْتُ عَنِ العيـون مَسَـالِكِي
وَإِذَا صَبَـرْتُ عَلَى ٱلْجَـوَىٰ وَكَتَـمْتُـهُ

فَـلأَنَّ فـي ظُـلَمِ ٱلْـوُشَـاةِ جَـرِيـرَةً
تُـؤْذِي مَـعَـانِيَ قُـدْسِـهَـا إِنْ زُرْتُـهُ

فَـلِذَا أَصُـونُ جَـلاَلَـهَـا ، وَأَجِـلُّهَـا
عَنْ إِثْمِهِمْ (!!) مَهْمَـا تَحَايَـلَ سَمْتُـهُ

فَهِيَ ٱلْمَـلاَكُ عَـرَفْتُ فِي مِحْـرَابِهَـا
طُهْـرَ ٱلْهَـوَىٰ ، وَٱلنُّبْـلَ فِيـهِ عَـرَفْتُـهُ

حَسْبِي ـ إِذَنْ ـ طَيْـفٌ يُـلِمُّ بِـدَارَتِـي
حَسْبُ ٱلْهَـوَىٰ .. كَمْ خِفْتُـهُ وَوَدِدْتُـهُ

وَٱللهِ يَـعْـلَمُ أَنَّ مَـا بِـي مَـهْـلَعـاً
لَكِنْ ، صَـدَقْتُ هَـوَىٰ الحبيب وَصُنْتُـهُ

فَسَـأَنْـطَوِي فِي مَـخْـدَعِي مُـتَـجَلِّداً
أَحْـنُـو عَـلَى أَمَـلِي ٱلَّـذِي وَدَّعْـتُـهُ

* ترمز هذه القصيدة (آب ١٩٥٩) إلى شعار « الوحدة العربية » النقّي الذي لم يجد دربه الصحيح زمن الحكم الناصري في سورية (من شباط ١٩٥٨ إلى أيلول ١٩٦١م) .

وداعُ حبيب

يَـا شَـاعِـراً غَـنَّى بِـحُـلْوِ يَـرَاعَـةٍ
فَـنَّ ٱلْـحَـيَـاةِ بِـرَوْعَـةٍ وَجَـمَـالِ
أَقْـبِـلْ إِلَـيَّ فَـإِنَّ عِـنْـدِي صُـورَةً
وَسِعَـتْ مِـنَ ٱلْـعَـلْيَـاءِ كُـلَّ جَـلَالِ

فِيهَـا سُمُـوُّ ٱلْحُبِّ وَٱلـطُّهْـرُ ٱلَّـذِي
وَسَـمَ ٱلْـهُـيَـامَ بِـعِـفَّـةٍ وَمَـعَـالِ

* * *

نَـمِّقْ بِـشِعْـرِكَ وَقْـفَـتِـي فِـي سَـاعَـةٍ
عَـزَمَ ٱلْحَبِيبُ بِـهَـا عَلَى ٱلتَّـرحَـالِ
وَٱلْـتَـفَّـتِ ٱلأَصْـحَـابُ حَـوْلَ رِكَـابِـهِ
يَـتَـوَاثَـبُـونَ لِلَثْمِـهِ بِـتَـتَـالِ
يَا وَيْحَهُم !.. أَوَ يَجْرُؤُونَ..؟ وَإِنَّنِي
لأَحَـقُّهُـمْ ـ لَـو أَنْصَـفُـوا ـ بِـوِصَـالِ
فَـوَقَفْتُ جَـنْبـاً ، أَلْـتَـظِي بِفِـعَـالِهِـمْ
وَأَذُوبُ حَـرَّاً لِاغْـتِـصَـابِ نَـوَالِـي

عَجَباً . . ! فَمَا لِيَ لاَ أَسِيرُ مُدَافِعاً
جَمْعاً ، وَأَحسُو ٱلشَّهْدَ دُونَ سُؤَآلِ

* * *

يا شاعري لاَ تَحْسَبَنِّي جَازِعاً
أَشْكُو ٱلْحَيَاةَ ، مُلَفَّعاً بِكَلاَلِ

أَوْ خَائِفاً مُتَرَدِّداً أَوْ أَبْكَماً
لاَ أُحْكِمَ ٱلتِّبْيَانَ عِنْدَ مَقَالِي

قَسَماً بِرَبِّي لَمْ أَكُنْ مُتَخَاذِلاً
لَكِنَّمَا كَانَ ٱلْحَيَاءُ عِقَالِي

وَلَطَالَمَا وَقَفَ ٱلْحَيَاءُ بِهِمَّتِي
عَنْ نَيْلِ شَأْوٍ أَوْ بُلُوغِ مَنَالِ

* * *

وَدَوَى صَفِيرُ ٱلْقَطْرِ يُؤْذِنُ صَوْتُهُ
بِنَوَى ٱلْحَبِيبِ ، فَرُوِّعَتْ أَوْصَالِي

فَدَلَفْتُ أَسْعَى نَحْوَهُ فَإِذَا بِهِ
يُذْرِي ٱلدُّمُوعَ نَوَاثِراً كَلآلِ

فَوَدِدْتُ لَوْ أَنَّ ٱلْحَيَاةَ قَدِ ٱنْقَضَتْ
قَبْلَ ٱنْسِكَابِ ٱلْمَدْمَعِ ٱلسَّيَّالِ

وَرَنَا إِلَيَّ بِنَظْرَةٍ قَدْ أَسْكَرَتْ
مِنِّي ٱلْفُؤَادَ وَأَنْعَشَتْ آمَالِي

فَتَحَاوَرَتْ مِنَّا ٱلْعُيُونُ وَيَا لَهَا
مِنْ سَاعَةٍ فَاضَتْ بِكُلِّ نَوَالِ

فَلَكَمْ تُنَـاجِي ٱلْعَيْنُ عَيْنـاً مِثْلَهَـا
بِـخَفِـيِّ إِيـشَـارٍ وَسِـحْـرِ مَـقَـالِ
إِنَّ ٱلْـعُـيُـونَ إِذَا تَـنَـاجَتْ عَـطَّلَتْ
عَـمَـلَ ٱللِّسَـانِ وَصَـوْلَـةَ ٱلأَفْـعَـالِ

* * *

سَـارَ ٱلْقِـطَارُ .. فَسَـارَ طَـرْفِي خَلْفَـهُ
حَـتَّـى تَـوَارَىٰ فِـي ذُرَىً وَتِـلَالِ
فَـعَـلِمْـتُ أَنِّي لَـنْ أَرَىٰ مَـعَ بُـعْـدِهِ
دُنْـيَـا ٱلْـمَـفَـاتِنِ حُـلْوَةَ ٱلإِقْـبَـالِ
فَـرَجَعْتُ مَـحْـزُونَ ٱلْفُـؤَادِ مُصَـدَّعـاً
أَبْـكِي لِـعُـذَّالِ ٱلْـهَـوَىٰ آمَـالِـي

هَـذَا وَدَاعٌ لِـلْحَـبِـيـبِ أَلَا تَـرَىٰ
فِيـهِ مِنَ ٱلْعَلْيَـاءِ كُـلَّ جَـلَالِ ..؟!

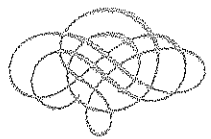

لا تجرحيني ..!

لَا تَجْرَحِينِي بِٱلْعِتَابِ فَإِنَّنِي
إِلْفُ ٱلْجَمَالِ بِهِ أَذُوبُ وَأُولَعُ

وَإِذَا خَصَصْتُكِ بِٱلْهَوَىٰ وَمَوَدَّتِي
فَلِكُلِّ أُنْثَىٰ فِي فُؤَادِي مَهْجَعُ

إِنَّ ٱلْجَمَالَ يَشُدُّنِي بِمَفَاتِنٍ
طَابَ ٱللِّقَاءُ بِهَا وَطَابَ ٱلْمَرْتَعُ

أَأَصُدُّ نَفْسِي عن رَوَائِعِ فِتْنَةٍ
لِأَمُوتَ صَبّاً..؟ لَا .. وَلَا أَتَوَرَّعُ

إِن كَانَ هَذَا لَيْسَ مِنْ أَدَبِ ٱلْهَوَىٰ
فَأَنَا ضَمِينٌ أَنَّ وِدَّكِ يَشْفَعُ..!

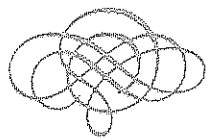

لاتكسري عودي..!

لاَ تَكْسِرِي عُودِي
فَعُودِي هَمْسُ أَوْتَارِي
لاَ تَكْسِرِيهِ فَإِنَّهُ
رَوْضِي وَنَوَّارِي

إِنِّي أَحِنُّ إِلَيْهِ
فِي دَوَّامَتِي وَعِشَارِي
أَرْوِي بِهِ ظَمَأَ الشُّجُون
وَعِلَّتِي وَإِسَارِي
وَأَبُثُّهُ شَكْوَايَ مِنْ
هَمِّي وَإِعْسَارِي
لَحْناً سَكَبْتُ بِهِ عَلَى
آلاَلَامِ أَسْرَارِي
وَطَوَيْتُ فِيهِ مَشَاعِرِي
مَشْبُوبَةً بِأُوَارِ

هَـذَا نَـجِـيـعُ آلْـقَـلْبِ
لَا تَـذْوِي لَـهُ نَـارِي

* * *

يَـا أُخْـتَ حُـبِّـي إِنْ
رَكَـعْـتِ ، نَـوَاشِـىءَ آلأَسْـحَـارِ
لَا تَـنْـسِـي نُـسْـكِـنِي فِـي
هَـوَايَ ، وَقِـبْـلَتِـي وَمَـزَارِي
وَذَرِي لِـعُـودِي سُـبْـحَـةً
عُـلْوِيَّـةَ آلأَقْـدَارِ
لَا تَـكْـسِـرِيـهِ فَـإِنَّـهُ
رُوحِـي وَإِيـثَـارِي

لَا تَـظْلِمِـي قَـلْبِـي فقد
يُـسْـلِـيـكِ قِـيـثَـارِي
لَا تُـنْـكِـرِي دَمْـعِـي فَـدَمْـعِـي
بَـعْـضُ أَشْـعَـارِي

* * *

يَـا أُخْـتَ حُـبِّـي فَـآسْـمَـعِـي
أَلْـحَـانَ مِـزْمَـارِي
وَإِذَا فَـقَـدْتِ آلـلَّـيْـلَ
فِـي إِطْـلَالَـتِـي وَنَـهَـارِي
لَا تَـحْـسَـبِـي سَـهَـرِي مُـجُـونـاً
طَـائِشَ آلأَطْـوَارِ

أَوْ مَرْتَعاً بَيْنَ ٱلنُّجُومِ
عَلَى هَوَىً وَنُضَارِ

أَوْ لَذَّةً أَعْمَىٰ بِهَا
عَنْ دِقَّةِ ٱلإِبْصَارِ

أَوْ مُتْعَةً أَقْضِي عَلَى
جَنَبَاتِهَا أَوْطَارِي

فَأَنَا بِهِ أَسْلُو وَمَا
أَسْلُو عَنِ ٱسْتِعْبَارِ

وَإِذَا رَأَيْتِ ٱلسُّكْرَ
يَسْلُبُ هَيْبَتِي وَوَقَارِي

فَأَنَا ـ وَحَقِّكِ ـ مَا سَكِرْتُ
بِخَمْرَةٍ وَخُمَارِ

لَا أَحْتَسِيهَا ... إِنَّمَا
دَمْعِي .. كَإِسْكَارِي

فَتَرَفَّقِي .. لَا تَغْضَبِي
يَا نَبْعَةَ ٱلأَخْيَارِ

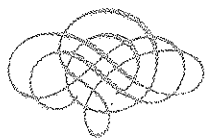

أنا.. وزورقي

يَـا زَوْرَقِي .. يَـا زَوْرَقَ ٱلأَحْـلاَمِ
وَٱلآلاَمِ وَٱلْـجُـهْـدِ ٱلْـمَـرِيرْ
غَـالِـبْ مَـعِـي هُـوجَ ٱلـرِّيَـاحِ
ٱلسَّـافِيَـاتِ وَلَـوْ عَلَى ٱلـرَّمَقِ ٱلأَخِيـرْ

وَتَـأَسَّ بِـٱلأَبْـطَالِ مِـنْ شُـمِّ
ٱلأُبَـاةِ ، يَـقُـودُهُـمْ أَمَـلٌ نَـضِـيـرْ
يَتَصَـارَعُـونَ عَلَى ٱلْعُـلاَ ، يَتَقَـارَعُـونَ
مَـعَ ٱلنَّـدَى ، وَكَـأَنَّهُمْ قَـدَرٌ كَبِـيـرْ
لاَ جُـهْـدَ يُـيْـئِـسُـهُـمْ ، وَلاَ حُـزْنـاً
يُـشَـتِّـتُـهُـمْ ، ولا عَـصْـفَ ٱلْـمَـسِـيـرْ
سِـيَّـانِ .. إِنْ نَـالُـوا ٱلْـمُـنَـى ..
أَوْ إِنْ قَضَوْا في ٱلسَّاحِ آحْرَارَ ٱلضَّمِيرْ
سِـيَّـانِ .. هُـمْ عِـنْدَ ٱلْـعُـلاَ يـا
زَوْرَقي .. فَآعْزِفْ عَنِ ٱلْعَيْشِ ٱلْحَقِيرْ

* * *

يـا زَوْرَقِـي .. يَـا زَوْرَقَ ٱلآلَامِ
سِـرْ ، حَـاشَـاكَ أنْ تَـتَـكَـسَّـرا
إنَّ ٱلـشِّـرَاعَ إذَا تَـمَـزَّقَ فَـلْيَـكُـنْ
قَـلْبِـي ، شِـرَاعـاً أَحْـمَـرَا
وَدَعِ ٱلْمَجَـادِيفَ ٱلَّتِي قَـدْ هَـدَّهَـا
مَـوْجٌ أَرَاهُ مُـزَمْـجِـرَا
فَسَـوَاعِـدِي .. وَعَـزِيمَتِي مِجْـدَافُنَـا
ٱلْـمَـرْهُـوبُ . لَـنْ يَـتَـذَمَّـرَا
فَسَـأَتَّقِي مَـوْجَ ٱلْخِضَمِّ وَعَـصْـفَـهُ
وَرِيَـاحَـهُ ... بـل أَكْـثَـرَا

وَسَـأَزْدَرِي عَـسْـفَ ٱلأَعَـاصِـيـرِ
ٱلـشَّـدِيـدَةِ ، مُـؤْمِـنـاً ، مُـتَـصَـبِّـرَا
لاَ .. لاَ .. ـ وَحُـبِّـي ـ لَـنْ تُـرَى
يَـا زَوْرَقِي فَـوْقَ ٱلـرِّمَـالِ مُـدَمَّـرَا

* * *

يَـا زَوْرَقِي .. يَـا زَوْرَقَ ٱلأَحْـلاَمِ
لَـنْ تُـضْـنِـي عَـزَائِـمَـنَـا ٱلـدُّهُـورْ
وَسَـنَـقْـحَـمُ ٱلـلُّـجَـجَ ٱلْـوَحِـيـعَـةَ
وَاثِـقِينَ ، فَـلاَ نَهَـابُ أَذَىٰ ٱلـصُّـخُـورْ
كَـافِـحْ مَعِي ، وَتَجَلَّدَنَّ عَلَى ٱلضَّـنَىٰ
لاَ تَـخْشَ أَوْضَـارَ ٱلـشُّـرُورْ

فَلَقَدْ خُلِقْنَا لِلْكِفَاحِ وَمَا لَنَا
غَيْرُ ٱلْكَرَامَةِ مِنْ دُثُورْ
فَلَهَا نَعِيشُ .. وَدُونَهَا نَقْضِي
.. وَمَا نَذَرُ ٱلشَّوَامِخَ لِلْنُّسُورْ
فَشُمُوخُنَا أَوْلَىٰ بِهَا ، وَٱلرَّغْدُ
مَكْتُوبٌ لِرَبَّاتِ ٱلْخُدُورْ
مِجْدَافُنَا يَا زَوْرَقِي عَزْمٌ
يُجَالِدُ ، لَا يَلِينُ ، وَلَا يَخُورْ

الجواري الكُنَّس

لَمْ تَتَّقِي ٱللهَ بِنَا
يَا عَبْقَةً مِنْ نَرْجِسِ
وَٱللهِ قَدْ شَوَّقْتِنَا
لِقُبْلَةٍ وَمَلْمَسِ

وَرَشْفَةٍ .. كَخَمْرَةٍ
تَزْكُو بِهَمْسِ الأَكْؤُسِ
غُفْرَانَكُمْ .. أَهْلَ الْهَوَىٰ
أَهْلَ الْعَبِيرِ الْمُؤْنِسِ
إِنِّي أَذُوبُ وَأَجْتَوِي
بِهَوَىٰ الْجَوارِي الْكُنَّسِ

نشيد الغُربة

لَا تَسْلُنِي يَا حَبِيبِي
عَنْ فُتُونِي وَوُلُوعِي
فَدُمُوعِي فَضَحَتْنِي
قَاتَلَ اللهُ دُمُوعِي

* * *

لِبِلاَدِي ، وَفُؤَادِي
سَكَنٌ بَيْنَ ضُلُوعِي
وَبِأَهْدَابِ عُيُونِي ..
صُنْتُ أَرْضِي وَنُجُوعِي

* * *

إِنَّنِي مُذْ قُلْتُ شِعْراً
وَجَرَىٰ فِيهِ بَدِيعِي
قَد أَذَبْتُ ٱلْقَلْبَ حُبّاً
بِهَوَىٰ ٱلشَّامِ ٱلْمَنِيعِ

* * *

طَالَمَا غَنَّيْتُ شِعْرِي
بِصِحَابِي وَجُمُوعِي
أَنْ أَفِيقُوا يَا رِفَاقِي
وَٱطْرُدُوا كُلَّ هُجُوعِ

* * *

وَلَكَمْ صَلَّيْتُ أَدْعُو
فِي سجودي وَرُكُوعِي
كَيْ يَصُونَ ٱللهُ قَوْمِي
وَمِهَادِي وَرُبُوعِي

* * *

وَثِـقِـي يَـا شَـامُ أَنِّي
لَـكِ أَرْخَـصْـتُ نَـجِـيـعِـي
وَبَـذَلْـتُ آلـرُّوحَ صِـدْقـاً
فَـاقْـبَـلِي صِـدْقَ صَـنِـيـعِـي

* * *

طَـالَ وَآلله نُـزُوحِـي
حـان وَآلله رُجُـوعِـي
فَـمَـتَىٰ أَلْـقَـى تِـلَادِي
وَأُصُـولِي وَفُـرُوعِـي

القسم الثالث

من ملحمة الحياة

هـذا القسـم

هذا القسم : « من ملحمة الحياة » دعوة إلى الرضى بالواقع ، مع استمرار السعي لبلوغ الأفضل ، وهي تحريض على عدم الإغترار بمظاهر الناس ، أو الحكم عليهم بما يبدو من ظاهرهم لأنّ وراء كل مظهر براق ، أمراً خفياً مؤلماً ، فالحياة لا تصفو لمخلوق صفاءاً كاملاً ، فمع كل صفو كدر ، وبعد كل كدر رجاء ، والعاقل الحكيم من يواصل سيره ضمن الرضى ومع الواقع ، متسلحاً بالأماني ، واثقاً بالآمال ، مقتنعاً بالصبر ، راضياً بالحق ، عاملاً على غرس بذور الخير ، لنفسه وأهله وولده ، وللناس جميعاً ، لا يحقد ولا يحسد ، لا يضغن ولا يغضب ، هَمُّه أن يكون عنصر بناءٍ في كيان البشر ، لا جرثومة نخر وهدم في صرح الانسان .

« ب »

الباكي الحزين

١

كَفْكِفْ دُمُوعَكَ وَٱنْشَرِحْ
وَٱنْبُذْ هُمُومَكَ وَٱسْتَرِحْ
مَا كُلُّ مَا تَلْقَىٰ مِنَ ـ
ـ ٱلْبَأْسَاءِ وَٱلْعَيْشِ ٱلتَّرِحْ

يَبْقَىٰ مُنِيخاً قَاسِياً
يُمْسِي عَلَيْكَ وَيَصْطَبِحْ
بَلْ كُلُّ مَا تَلْقَاهُ مِنْ
حُزْنٍ أَقَامَ وَلَمْ يَزِحْ
مَعْدُودَةٌ أَيَّامُهُ
وَسَيَنْطَوِي ، وَسَيَنْسَرِحْ
فَٱصْبِرْ وَكُنْ رَجُلَ ـ
ـ ٱلنَّوَازِلِ بِٱلْجَلَادَةِ مُتَّشِحْ
لَا تَسْتَكِنْ ، بَلْ دَاوِرِ ـ
ـ ٱلْخَطْبَ ٱلْعَظِيمَ لِيَتَّضِحْ

وَمَتَى آسْتَبَانَ فَخُذْهُ في
طُولِ الأَنَاةِ لِيَمَّسِحْ
فَكَذَا تَكُونُ مَعْ الْحَيَاةِ-
خَدِينَهَا ، حُلْواً ، مَرِحْ
وكذا تَكُونُ معَ الرِّضَىٰ
صِنْواً ، أَبِيّاً ، تَسْتَرِحْ

الثريّ والمرض

٢

هَذَا الَّذِي تَلْقَاهُ في-
-النَّعْمَاءِ مَوْفُورَ الثَّرَاءْ
تَعْنُو لَهُ مُتَعُ الْحَيَاةِ-
-كَمَا يُحِبُّ ، بِمَا يَشَاءْ

فَبِمَالِهِ نَالَ ٱلْعُلاَ
مَلَكَ ٱلسَّعَادَةَ وَٱلْهَنَاءْ
أُجَرَاؤُهُ مِنْ حَوْلِهِ
سَارُوا بِهَالاَتِ ٱلدُّعَاءْ
بَذَلُوا لَهُ مَا يَشْتَهِي
إِن كَانَ صِدْقاً أَوْ رِيَاءْ
حَتَّى ظَنَنْتَ بِمَا تَرَىٰ
مِنْ ظَاهِرٍ حُلْوِ ٱلسَّنَاءْ
أَنَّ ٱلْفَتَىٰ قَدْ نَالَ مِنْ
آمَالِهِ أَسْمَىٰ عَطَاءْ

لاَتَغْتَرِرْ ! .. وَٱكْشِفْ خَبِيئَةَ
ـ صَدْرِهِ عِنْدَ ٱلِّلقَاءْ
لِتَرَىٰ هُمُومَ سِقَامِهِ
تُضْنِيهِ مِنْ دَاءٍ عَيَاءْ
وَيَوَدُّ لَوْ خَسِرَ ٱلثَّرَاءَ ـ
ـ لِيَقْتَنِي عَيْشَ ٱلشِّفَاءْ

التاجر والقلق

٣

كَمْ مِنْ ثَرِيٍّ تَاجِرٍ
يَزْهُو بِفَرْطِ ثَرَائِهِ
دَانَتْ لَهُ آلدُّنْيَا .. وَكَمْ
عَزَّتْ على عُشَرَائِهِ

حَسَدُوهُ إِذْ ظَنُّوا بِأَنَّ ـ
ـ « ٱلْمَالَ » كُلَّ رَجَائِهِ
حَسَدُوهُ إِذ دَانَتْ لَهُ ـ
ـ آلدُّنْيَا كَطَوْعِ قَضَائِهِ
قَالُوا : فَمَا يَبْغِي ..؟ وما
يَرْجُو لِطُولِ بَقَائِهِ
أَفَلَيْسَتِ آلآمال وَآلأَمْوَالُ ـ
ـ رَهْنَ هَنَائِهِ
لَا .. لَا .. فَتِلْكَ مِظَاهِرٌ
تُخْفِي عَظِيمَ شَقَائِهِ

هُـوَ مُـتْـعَـبٌ ، هُـوَ مُـرْهَـقٌ
فِي صُـبْـحِـهِ وَمَـسَـائِـهِ
يَخْشَى مُـفَـاجَـأَةَ ٱلْخَـسَـائِـرِ ـ
ـ وَٱضْـطِّرَامَ بَـلَائِـهِ
خَـيْرٌ لِـعَـيْـشِـكَ ، بَـلْ لِـعَـيْـشِـي ـ
ـ ٱلْـبُـعْـدُ عَـنْ نُـظَرَائِـهِ

الموظف ومتاعبه

٤

وَمُـوَظَّـفٍ .. نَـالَ ٱلـصَّـدَارَةَ ـ
فِي آعْـتِـلَاءِ ٱلْـمَـنْـصِـبِ
يَـبْـدُو كَـمَا لَـوْ كَـانَ مَخْـلُوقـاً ـ
ـ لِأَمْـنَـعِ مَـطْلَـبِ

تَـرْنُـو لَـهُ ٱلأَبْـصَـارُ فِي
حَـسَـدٍ خَـفِـيِّ ٱلْـمَـذْهَـبِ

لِمَ لَا ..؟ وَقَـدْ نَـالَ ٱلأَمَـانِيَ -
- فَـوْقَ أَيْـسَـرِ مَـرْكَـبِ

فَـالـرَّاتِـبُ ٱلْـمَـضْـمُـونُ قَـدْ
وَافَـاهُ دُونَ تَـطَلُّبِ

وَمَـكَـانُـهُ ٱلْـمَـرْمُـوقُ أَضْـحَـىٰ -
- رِقْـبَـةَ ٱلْـمُـتَـرَقِّـبِ

يَـا بُـؤْسَـهُ ..! كَـمْ نَـاشَـهُ
سَـهْـمُ ٱلْـحَـيَـاةِ ٱلْـغَـيْـهَـبِ

رُؤَسَـاؤُهُ .. يُـؤْذُونَـهُ
زُمَـلَاءُهُ .. كَـٱلْـمِـخْـلَـبِ

وَمَـعَـاشُـهُ ٱلْـمَـحْـدُودُ -
- أَغْـرَقَـهُ بِـدَيْـنٍ مُـتْـعِـبِ

فَـدَعِ ٱلْـمَـظَاهِـرَ كُـلَّهَـا
وَٱقْـنَـعْ بِـفِـكـرٍ أَرْحَـبِ

الصحة والفقر

٥

قَالَ ٱلسَّقِيمُ وَقَدْ رَآىٰ
جِسْمَ ٱلسَّلِيمِ ٱلأَمْلَدَا :
يَهْنِيهِ هَذَا ٱلْجِسْمُ كَمْ
يَبْدُو مُعِزّاً مُسْعِدَا

فَٱلسَّاعِدُ ٱلْمَفْتُولُ وَٱلْوَجْهُ -
- ٱلنَّضِيرُ أَخُو ٱلنَّدَىٰ
هِيَ ثَرْوَةٌ جَلَّتْ عَنِ -
- ٱلأَنْدَادِ لَنْ تَتَبَدَّدَا
قُلْتُ : ٱتَّئِدْ .. إِنَّ ٱلْفَتَىٰ
يَلْقَىٰ عَنَاءاً أَسْوَدَا
أَكَلَتْ هُمُومُ العيش كُلَّ -
- فُؤَادِهِ ... فَتَمَرَّدَا
هُوَ بَائِسٌ ، هُوَ حَانِقٌ
بِٱلْحُزْنِ بَاتَ مُسَهَّدَا

فَـٱلْـفَـقْـرُ نَـغَّصَ عَـيْـشَـهُ
وَرَآىٰ ٱلْحَـيَـاةَ بِـهِ سُـدَىٰ
يَمْـشِـي فَـتَـحْـسَـبُـهُ خَـدِيـنَ -
- سـعـادةٍ أَوْ سَـيِّـدَا
دَعْ عَـنْـكَ مَـظْـهَـرَهُ فَـكَـمْ
حَـمَـلَ ٱلْـهُـمُـومَ وَصَـعَّـدَا

الوزارة والجحيم

٦

حَـتَّىٰ ٱلْـمُـدِيـرُ .. بَـلِ ٱلْـوَزِيـرُ -
- يَـهُـزُّهُ خَـبْـطُ ٱلْـفِـكَـرْ
ظَـنَّ ٱلْـوِزَارَةَ مَـرْتَـعـاً ..
يَـسْـمُـو بِـهَـا دُونَ ٱلْـبَـشَـرْ

لَمَّا تَرَبَّعَ فَوْقَهَا
لَمْ يَلْقَ شَيْئاً ذَا أَثَرْ
خَسِرَ ٱلْقَرِيبَ مَعَ ٱلصَّدِيقِ ـ
ـ وَمَا أَرَادَ وَمَا قَدَرْ
وَكَأَنَّهُ دَلَّ ٱلْعَدُوَّ ـ
عَلى خَبِيئَاتِ ٱلْقَدَرْ
فَٱلإِتِّهَامُ يَنُوشُهُ
مَعَ كُلِّ شَمْسٍ أَوْ قَمَرْ
وَٱلْهَمُّ أَرَّقَ جَنْبَهُ
بِسِهَامِ قَهْرٍ أَوْ كَدَرْ

حَمَلَ ٱلْمَثَالِبَ كُلَّهَا
لَمْ يَجْنِ غَيْرَ أَذَىً وَشَرْ
يَبْكِي وَيَنْدُبُ في قَرَارَةِ ـ
ـ نَفْسِهِ وَقْعَ ٱلْخَطَرْ
وَلَكَمْ تَمَنَّى أَنْ يَفِرَّ ـ
ـ مِنَ ٱلْجَحِيمِ ٱلْمُسْتَعِرْ

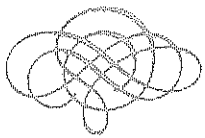

المزارع والفلاح

٧

وَمُـزَارِعٍ بِـالْـكِـبْـرِيَـاءِ
بَـنَىٰ كِـيَـانَ حَـيَـاتِـهِ
أَخْـفَـىٰ حَـقِـيـقَـتَـهُ وَمَـا
يَـعْـرُوهُ مِـنْ عِـلَّاتِـهِ

ظَـنَّ الْجَـمِـيـعُ بِمَـا بَـدَا
تَـرَفـاً عَـلَى نَـدَوَاتِـهِ
أَنَّ الْهَـوَىٰ طَـوْعٌ لَـهُ
وَقْـفٌ عَـلَى لَـذَّاتِـهِ
لَـقَـدْ ابْـتَـلَاهُ زَمَـانُـهُ
وَرَمَـاهُ فِي «ثَـوْرَاتِـهِ»
أَلْهَـمُ يَـقْـتُـلُـهُ فَـيَـقْـضِـي -
- الْـعُـمْـرَ فِي ظُـلُـمَـاتِـهِ
يَخْـشَـىٰ عَـلَى أَمْـلَاكِـهِ
فَـلَّاحَـهُ وَلِـدَاتِـهِ

أَطْيَـانُـهُ مِـعْـطَـاءَةٌ
وَٱلْخَـيْرُ مِـنْ خَـيْـرَاتِـهِ
أَغَـداً يُـصَـادِرُ مُـلْكَـهُ ؟
أَيَمُـوتُ قَـبْـلَ مَمَـاتِـهِ ؟
فَـٱلْخَـوْفُ مِـلْءُ إِهَـابِـهِ
وَٱلْمَـوْتُ فِي نَـظَرَاتِـهِ !

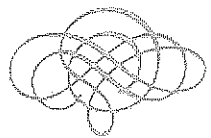

الطفل الرضيع

٨

دَعْ عَـنْـكَ أَقْـوَالِي وَخُـذْ
طِـفْـلًا رَضِـيـعـاً مُـكْـرَمَـا
قَـد أَلْـبَـسُـوهُ دِمَـقْـسَـهُ
سَـكَـبُـوا عَـلَيْـهِ ٱلأَنْـعُـمَا

صَانُوهُ مِنْ عَبَثِ ٱلْحَيَاةِ ـ
ـ لِكَيْ يَفُوزَ وَيَسْلَمَا
لَا حَرَّ ، لَا قَرّاً وَلَا
سَعْياً لِرِزْقٍ أَقْتَمَا
أَبَوَاهُ فِي تَحْنَانِهِمْ
مَنَحَاهُ حُبّاً أَعْظَمَا
ضَمَّاهُ بَيْنَ جَوَانِحٍ
كَيْ لَا يُسَامَ وَيُظْلَمَا
أَتَظُنُّهُ نَالَ ٱلسَّعَادَةَ ـ
ـ رَاضِياً ، مُتَرَنِّمَا

سَائِلْ فُؤَادَكَ إِنْ ـ
ـ رَأَيْتَ بُكَاءَهُ مُتَضَرِّمَا
لِمَ يَشْتَكِي ..؟ قَدْ كَانَ ـ
ـ قَبْلُ مُغَرِّداً مُتَبَسِّمَا
هُوَ مِثْلُنَا .. فَكُؤُوسُهُ
شَهْداً تكون وَعَلْقَمَا

الطالب والمستقبل

٩

وَالطَّالِبُ الْمِسْكِينُ قَدْ
ظَلَمُوهُ ظُلْماً قَاسِيَا
قَالُوا : أَبُوهُ كَفَاهُ كُلَّ
- مَؤُونَةٍ ، مُتَأَسِّيَا

فَبِمَأْكَلٍ ، وَبِمَلْبَسٍ
يُمْسِي وَيُصْبِحُ رَاضِيَا
وَجِرَايَةٍ ، يَوْمِيَّةٍ
لَمْ يَشْكُ عَيْشاً نَابِيَا
أَيْنَ الْهُمُومُ ..؟ وَمَالَهُ
غَيْرُ الْقُطُوفِ دَوَانِيَا
دَعْ عَنْكَ مَظْهَرَهُ وَقُمْ
نَاجِ الْحَقِيقَةَ خَالِيَا
لِتَرَىٰ هُمُومَ « فُحُوصِهِ »
بَحْراً عَمِيماً طَامِيَا

وَبِحَسْبِهِ «ٱلْمُسْتَقْبَلُ» ٱلْمَجْهُولُ -
- يبدو .. دَاجِيَا
كَيْفَ ٱلسَّبِيلُ وَدُونَهُ
هَمٌّ يُظَنُّ أَمَانِيَا ؟!

الذكر والانثى

١٠

وَٱلزَّوْجُ دَاعَبَ زَوْجَهُ
عِنْدَ ٱلْحَدِيثِ عَنِ ٱلْحَيَاةْ
قَالَ : ٱهْنَئِي وَتَمَتَّعِي
فَٱلْعَيْشُ مَوْفُورُ إلصِّلَاتْ

أَنَـا خَـادِمٌ لَـكِ مُخْـلِصٌ
خَـمَّـالُ كُـلِّ ٱلـنَّـائِـبَـاتْ

لَـوْ لَمْ أَكُـنْ ذَكَـراً لَـكُـنْـتُ ـ
ـ ٱلْـيَـوْمَ في حَـرَمِ ٱلْـبَـنَـاتْ

لَا هَـمَّ يُـرْهِـقُـنِي وَلَا
جُـهْـداً لِـغَـايَـةِ «خُـذْ وَهَـاتْ»

غَـيْـرِي يُـعَـالِـجُ حَـاجَـتِي
زَوْجِـي يَـصُـدُّ ٱلْـعَـادِيَـاتْ

هَـبَّـتْ تَـقُـولُ: تَـظُـنُّـنَـا
نَـحْـن ٱرْتَـضَـيْـنَـاكُـمْ وُصَـاةْ ؟!

أَفَـلَـيْـسَـتِ ٱلْأَقْـدَارُ قَـدْ
جَـعَـلَـتْ نِـسَـاءَكُـمُ أُسَـاةْ ؟!

لَـوْ لَمْ أَكُـنْ أُنْـثَـى لَـكُـنْـتُ ـ
ـ ٱلْـيَـوْمَ في صَـفِّ ٱلْـكُـمَـاةْ !

لَـوْلَا كَـرِيـمُ مَـشَـاعِـرِي
لَمْ أَسْـتَـسِـغْ عَـذْبَ ٱلْـفُـرَاتْ !

الراقصة والدموع

١١

وَٱنْظُرْ لِفَاتِنَةِ ٱلْمَسَارِحِ ـ
ـ هَلْ رَأَيْتَ جَمَالَهَا ؟
تَزْهُو بِفَنٍّ رَائِعٍ
تَيَّاهَةً بِدَلَالِهَا

جَمَعَتْ قُلُوبَ ٱلْعَاشِقِينَ ـ
ـ عَلَى وُعُودٍ وِصَالِهَا
فَتَمَكَّنَتْ مِنْ عَرْشِهَا
بِفُتُونِهَا وَجَمَالِهَا
قَالُوا : وَمَا تَبْغِي ..؟ فَقَدْ
دَانَتْ لَهَا آمَالُهَا
لَا تَغْتَرِرْ .. إِنَّ ٱلْحَيَاةَ ـ
تَنُوشُهَا بِنِبَالِهَا
فَلَقَدْ رَأَيْتُ شُجُونَهَا
مَسْكُوبَةً بِمَقَالِهَا

قَالَتْ : سَئِمْتُ حَيَاةَ ـ
ـ لَيْلٍ صَاحِبٍ وَنَوَاهَا
فَرَأَيْتُ عَيْنَ فُؤَادِهَا
تَبْكِي وَتَنْدُبُ حَالَهَا
وَتَوَدُّ لَوْ تَجِدُ ٱلْمَمَاتَ ـ
لِكَيْ يُفَكَّ عِقَالُهَا !

الكأس الممزوجة

١٢

لَا تَحْسَبَنَّ ٱلْعَيْشَ بَسَّاماً ـ
ـ لِغَيْرِكَ أَوْ كَرِيمْ
يَصْفُو لَهُ .. وَتَرَاهُ أَنْتَ ـ
ـ مُعَانِداً لَا يَسْتَقِيمْ

إِنَّ ٱلْحَيَاةَ كُؤُوسُهَا
مَمْزُوجَةٌ مُنْذُ ٱلْقَدِيمْ

صَفْواً لِيَوْمٍ طَيِّبٍ
كَدَراً لَدَىٰ أَمْرٍ عَظِيمْ

فَخُذِ ٱلصَّفَاءَ .. وَمَزِّقِ -
ٱلأَكْدَارَ فِي ٱلْخَطْبِ ٱلْجَسِيمْ

وَٱنْزِعْ عَنِ ٱلْبَصَرِ ٱلْمَرِيضِ -
غِشَاوَةَ ٱلْهَمِّ ٱلذَّمِيمْ

وَإِذَا رَأَيْتَ أَخَا هَوَىً
يَزْهُو، وَيَرْتَعُ فِي نَعِيمْ

فَٱشْهَدْ لَهُ أَنَّ ٱلْفَتَىٰ
بَطَلٌ .. يُجَالِدُ، أَوْ حَكِيمْ

يَرْضَىٰ .. وَيَبْسِمُ لِلْعُلَا
لَا يُشْمِتَنَّ بِهِ ٱللَّئِيمْ

فَٱلْحُرُّ يَغْلِبُ دَهْرَهُ
يُرْدِيهِ فِي ضَيْرٍ أَلِيمْ

من المجهول إلى المجهول

١٣

هَـذِي ٱلْحَـيَـاةُ ، كَـمَا رَأَيْـتَ ـ
ـ رَتِـيـبَـةٌ مُـنْـذُ ٱلْـقِـدَمْ
نَـأْتِي مِـنَ « ٱلْمَجْـهُـولِ » مَخْلُوقِـينَ ـ
ـ مِـنْ طَـيْـفِ ٱلْـعَـدَمْ

نَمْـضِـي إِلىٰ « ٱلْمَـجْـهُـولِ » لَا
نَـدْرِي لِمَـهْ ..؟ أَوْ فِي .. وَكَـمْ
وَإِذَا سَـأَلْـتَ « ٱلْـعَـقْـلَ » عَـنْ
فَـحْـوىٰ حَـيَـاةٍ لَمْ تَـدُمْ
لَـبَّـاكَ قَـلْـبُـكَ قَـائِـلًا :
دَعْ عَـنْـكَ أَمْـراً مُـدْلَهِـمْ
وَٱقْـنَـعْ بِـإِيمَـانِ ٱلْـعَـجَـائِـزِ ـ
ـ لَا تَخُضْ بَـحْـراً خِـضَـمْ
أَلله قَـدْ بَـرَأَ ٱلْحَـيَـاةَ ـ
ـ وَخَـطَّهَـا خَطَّ ٱلْـقَـلَمْ

قُمْ لاَ تَلِجْ مِنْ بَابِ ـ
ـ حُزْنِكَ دَائِراً حَوْلَ ٱلنِّقَمْ
قُمْ رَاضِياً ، قُمْ سَاعِياً
لاَ تَنْتَظِرْ جُودَ ٱلدِّيَمْ
قُمْ وَٱنْتَزِعْ كَأْسَ ـ
ـ ٱلسَّعَادَةِ مِنْ عَرَانِينِ ٱلْقِيَمْ

مسرح العمر

١٤

هَذِي ٱلْحَيَاةُ ، كَمَا تَرَىٰ
بَرْقاً ، خَفِيّاً ، خُلَّبَا
هِيَ مَسْرَحٌ إِنْ كُنْتَ ـ
ـ تُؤْمِنُ بِٱلْحَقِيقَةِ مَذْهَبَا

نَـأْتِي جَمِـيـعـاً كَـيْ نُمَـثِّـلَ -
- دَوْرَنَـا ٱلْـمُـتَـقَـلِّـبَـا

هَـذَا يُمَـثِّـلُهُ بـكـاءاً -
- أَوْ عَـوِيـلاً صَـاخِـبَـا

وَٱلآخَـرُ ٱلْـمَـرَاحُ يَـبْـدُو -
ضَـاحِـكـاً ، مُـتَـوَثِّـبَـا

كُـلٌّ يُـؤَدِّي دَوْرَهُ
جَـذْلاَنَ أَوْ مُـتَـعَـذِّبَـا

فَـآخْـتَرْ لِـدَوْرِكَ مَـا يَـسُـرُّ -
- وَلاَ تَـعِشْ مُـتَـخَـيِّـبَـا

وَٱنْـبُـذْ هُمُـومَـكَ كُـلَّهَـا
وَٱخْـتَرْ لِـنَـفْـسِـكَ مَـرْكَـبَـا

وَٱجْـعَـلْ لِـسَـعْـيِـكَ غَـايَـةً
فَـوْقَ ٱلـنُّـجُـومِ وَمَـطْلَبَـا

لاَ تَـشْـكُ .. لاَ تَحْـزَنْ -
وَجَـالِـدْ ، مَـا ٱسْـتَـطَعْتَ لِـتَـغْـلِبَـا

العادة الحسناء

١٥

هَـذِي آلْحَـيَـاةُ .. كَـمَا تَـرَىٰ
مِـفْـتَـانَـةُ آلْـقَـسَـمَـاتِ
وَضَّـاءَةٌ لِـذَوِي آلـنُّهَىٰ
بَـسَّـامَـةُ آلـلَّمَـحَـاتِ

مِـعْـطَاءَةٌ أَهْـلَ آلـنَّـدَىٰ
فَـيَّـاضَـةُ آلْخَـيْـرَاتِ
فَـآضْـحَـكْ لها ، لَا تَـقْضِ ـ
ـ عُـمْـرَكَ بَـادِيَ آلْحَـسَـرَاتِ
هِـيَ غَـادَةٌ تَـزْهُـو بِـدَلٍّ ـ
ـ سَـاحِـرِ آلـنَّـظَـرَاتِ
فَـآبْـسِـمْ لَهَـا مُـتَـجَـمِّـلًا
بِـخَـلَائِـقٍّ وَصِـفَـاتِ
وَآصْـبِـرْ لَهَـا .. فَـآلـصَّـبْـرُ ـ
ـ أَفْـعَـلُ في نُـفُـوسِ آلْـغَـانِيَـاتِ

لاَ تَنْتَظِرْ مِنْهَا ٱرْتِوَاءاً -
- لِلْقُلُوبِ ٱلصَّادِيَاتِ
هِيَ «مِثْلُهُنَّ» .. عُهُودُهَا
قَدْ لاَ تَمِيلُ إِلَى ثَبَاتِ
حَسْبِي وَحَسْبُكَ فِيَ -
- ٱلْوِصَالِ مُمَانِعٌ وَمُوَاتِ

متع الحياة

١٦

مُتَعُ ٱلْحَيَاةِ رَأَيْتُهَا
تَأْتِي وَتَذْهَبُ كَٱلْهَبَاءْ
وَتَجُودُ جُودَ سَحَائِبٍ
حَرَّى .. تَمُرُّ بِلاَ عَطَاءْ

تُدْنِيكَ مِنْ حُلْوِ ٱلْمُنَىٰ
فَتَظُنُّ نَفْسَكَ فِي ٱلْعَلَاءْ

وَبِلَحْظَةٍ تَفْنَىٰ ٱللَّذَائِذُ -
- لَا دَوَامَ وَلَا بَقَاءْ

وَلِأَنَّهَا كَٱلطَّيْفِ تُسْرِعُ -
- أَوْ كَبَرْقٍ مِنْ ضِيَاءْ

عَلِقَتْ بِهَا آمَالُنَا
فَهِيَ ٱلْمَحَجَّةُ وَٱلرَّجَاءْ

وَلَوَ ٱنَّهَا دَامَتْ .. لَمَلَّ -
- دَوَامَهَا أُفُقُ ٱلسَّمَاءْ

هِيَ هَكَذَا خُلِقَتْ ، لِكَيْ
يَبْقَىٰ لَنَا فِيهَا عَزَاءْ

لَوْلَا هُنَيْهَاتٌ مِنَ ٱللَّذَاتِ -
- فِي حُلْوِ ٱلْهَنَاءْ

ضَاقَتْ بِنَا أَيَّامُنَا
ضَاقَتْ بِنَا رُحُبُ ٱلْفَضَاءْ

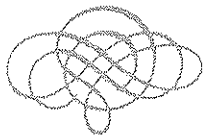

الرّضى والسّعي

١٧

هَا قَدْ رَأَيْتَ حَيَاتَنَا
مَحْفُوفَةً بِعَجَائِبِ
بَسَّامَةً يَوْماً، وَيَوْماً -
آلَةً لِنَوَائِبِ

مَمْلُوءَةً بِالْحَاسِدِينَ -
- مُحَاطَةً بِحَبَائِبِ
فِيهَا نَنَالُ سَعَادَةً
مَشْفُوعَةً بِمَصَائِبِ
وَإِذَا فَرِحْتَ لِنَاجِحٍ
فَكَذَا حَزِنْتَ لِخَائِبِ
فَلِذَا أَمُدُّ يَدِي إِلَيْكَ -
- مُصَارِحاً بِرَغَائِبِي
وَلِذَا أُجِلُّكَ أَنْ تَظَلَّ -
- صَرِيعَ فِكْرٍ شَائِبِ

فَتَعَالَ كَيْ نَرْقَىٰ ٱلشُّمُوخَ ـ
ـ عَلَىٰ كَرِيمِ رَكَائِبِ
وَتَعَالَ كَيْ نَسْعَىٰ إِلَى
عَيْشٍ هَنِيٍّ دَائِبِ
ضِمْنَ ٱلرِّضَىٰ ، وَمَعَ ٱلْعُلَا
فِي خَيْرِ نَهْجٍ صَائِبِ

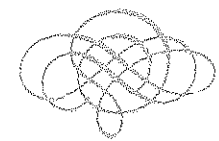

الفهرس

القسم الأول
من شعر المناسبات

بردى ٦
مولد الرسول ١٧
تحية دمشق ٢٨
ذكرى الهجرة ٣٦
مرثية الشهبندر ٤٥
فيصل ـ بومبيدو ٥٣
السحاب الداكن ٦٠
وحي الطفولة ٦٦

القسم الثاني
من فيض الوجدان

معبد ٧٣
عاهدت ٧٦
حكاية حبي ٨١
إليكِ أنت ٨٦
هامبورغ ٨٩
راهبة ٩٢
لفّي وشاحكِ ٩٥
غفوة! ٩٨
جانتي ١٠٢
أنا و «الوحدة» ١٠٥
وداع حبيب ١٠٨
لا تجرحيني! ١١٤
لا تكسري عودي ١١٦
أنا وزورقي ١٢٢
الجواري الكنّس ١٢٧
نشيد الغربة ١٢٩

القسم الثالث
من ملحمة الحياة

الباكي الحزين ـ١ ..... ١٣٦
الثريّ والمرض ـ٢ ..... ١٣٩
التاجر والقلق ـ٣ ..... ١٤٢
الموظف ومتاعبه ـ٤ ..... ١٤٥
الصحة والفقر ـ٥ ..... ١٤٨
الوزارة والجحيم ـ٦ ـ ١٥١
المزارع والفلاح ـ٧ ـ ١٥٤
الطفل الرضيع ـ ٨ ـ ١٥٧
الطالب والمستقبل ـ ٩ ـ ١٦٠
الذكر والأنثى ـ ١٠ ـ ١٦٣
الراقصة والدموع ـ ١١ ـ ١٦٦
الكأس الممزوجة ـ ١٢ ـ ١٦٩
من المجهول إلى المجهول ـ ١٣ ـ ١٧٢
مسرح العمر ـ ١٤ ـ ١٧٥
الغادة الحسناء ـ ١٥ ـ ١٧٨
متع الحياة ـ ١٦ ـ ١٨١
الرضى والسعي ـ ١٧ ـ ١٨٤

إن معظم أئمة المسلمين وفقهائهم وعلمائهم، قد تعارفوا منذ صدر الإسلام على وجود «**علم الناسخ والمنسوخ**» في القرآن الكريم، وهذا معناه ان من الممكن أن نرى حكماً شرعياً في القرآن الكريم، قد نسخته وأبطلت حكمه آية قرآنية ثانية... فهذا هو الذي يسمى «الناسخ والمنسوخ».

وبالاعتماد على هذا المفهوم، جرى معظم الأئمة والعلماء والفقهاء على إصدار أحكامهم الشرعية، ووضعوها قيد التداول على انها حقيقة ثابتة لا شك فيها ولا ريب.

ونجد بين أخطر هذه الأحكام، وبين أشدّها تأثيراً على موضوع العلاقات الإنسانية. بكل وقائعها الكلّية والجزئية «**حكم آية السيف**» أو ما تسمّى بـ«**آية القتال**» فهؤلاء يقولون بأن «آية السيف» قد نسخت كلّ أحكام التعاون والتعاطف مع جميع البشر، بما فيهم أهل الكتاب، من النصارى واليهود والصابئين والمجوس وأمثالهم، وذلك من خلال

تقسيم الكرة الأرضية إلى قسمين، أحدهما يُسمّى «**دار الحرب**» والثاني يُسمّى «**دار الإسلام**» وبحسب هذا التقسيم أولاً، وبحسب تفسير «**آية السيف**» ثانياً، فإن حال مسلمي العالم يجب أن يبقى في حال حرب دائمة مع جميع سكان القسم الثاني من الكرة الأرضية، أي سكان «دار الحرب»، إلّا في حال موادعة أو مهادنة أو معاهدة. وإننا نعتقد أن هذا الموضوع أصبح يحتاج إلى «اجتهاد» جديد يتناسب مع التطورات الهائلة التي طرأت على العلاقات الدولية بكل ما تنطوي عليه من شؤون سياسية ودبلوماسية واقتصادية واجتماعية وغير ذلك.

لن نعتمد مفهوم دار الحرب

ونحن إذا اعتمدنا هذا المفهوم ـ ولن نعتمده أبداً إن شاء الله تعالى ـ فإنّ كلّ ما أوردناه في هذا البحث من آيات قرآنية كريمة، وأحاديث نبوية شريفة، وأحكام شرعية قويمة، تتعلق بالدعوة إلى التعاون والتعاطف دينياً بين مسلمي العالم ومسيحييه أولاً، وبين مسلمي العالم

الإسلامي ومواطنيهم المسيحيين ثانياً، وبين مسلمي العالم العربي ومسيحييه ثالثاً، يكون قد ذهب أدراج الرياح بسبب «**آية السيف**» التي اعتمدها ذلك الفريق لنسف كل تعاونٍ أو تعاطف، من خلال تفسير متطرف قائم على التعسير لا على التيسير.

ولأننا نعتقد بأن الحكم الشرعي بهذه الطريقة يعتبر «**حكماً غير عادل**» بجميع الأدلّة القطعيّة والظنيّة التي نملكها، فقد رأينا أن نقدّم ـ باختصار ـ حكمنا هذا، ليطّلع عليه أهل العلم والفقه والرأي أولاً، وعامة المسلمين والمسيحيّين وأهل الكتاب كلّهم ثانياً، على أن نعود إلى هذا الموضوع بما يلزم من تحقيق وتفصيل وتقرير عندما يأذن الله لنا بذلك، في مناسبة أخرى إن شاء الله.

يجب علينا قبل كل شيء أن نورد «**آية السيف**» بنصها القرآني الكامل، لنكون مطّلعين على أساس ماهيّة هذا البحث، و«آية السيف» ليست وحدها، بل هي ضمن ست آيات من أول سورة «التوبة» نوردها كلّها فيما يلي، قال الله تعالى:

﴿ بَرَاءَةٌ مِنَ ٱللهِ وَرَسُولِهِ إِلَىٰ ٱلَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ * فَسِيحُوا فِي ٱلأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ. وَٱعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي ٱللهِ. وَأَنَّ ٱللهَ مُخْزِي ٱلْكَافِرِينَ * وَأَذَانٌ مِنَ ٱللهِ وَرَسُولِهِ. إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلأَكْبَرِ. أَنَّ ٱللهَ بَرِيءٌ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ. فإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ، وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي ٱللهِ. وبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * إِلاَّ ٱلَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ. ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئاً. وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَداً. فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ. إِنَّ ٱللهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ *﴾.

وهذه **آية السيف**:

﴿فَإِذَا ٱنْسَلَخَ ٱلأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ. فَٱقْتُلُوا ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ. وَخُذُوهُمْ. وَٱحْصُرُوهُمْ. وَٱقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ. فَإِنْ تَابُوا. وَأَقَامُوا ٱلصَّلاَةَ. وَآتَوُا ٱلزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ. إِنَّ ٱللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ *.

والآية السادسة هي آية الختام في هذا الموضوع وهي فيما يلي:

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ. فَأَجِرهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ ٱللهِ. ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ. ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ۞﴾.

فبموجب «آية السيف» هذه، نسف هؤلاء كل آيات التعاون والتعاطف مع النصارى وجميع أهل الكتاب، وصار من معتقدهم الثابت أن يقتلوا الكفار المشركين حيث وجدوهم، وأن يأخذوهم. ويحصروهم. ويقعدوا لهم كلّ مرصد. وهذا ما يفسر لنا جميع أعمال القتل والخطف والارهاب التي جرت ـ ومنا زالت تجري ـ فوق معظم الأراضي العربية والإسلامية والأجنبية، لأن بعض علماء المسلمين لا يفرّقون بين المشركين والنصارى، مع أن هذا من اختصاص الله تعالى. فهو صاحب الكلمة الفصل فيما بينهم يوم القيامة. علماً أن القرآن الكريم قد فرق بين المشركين والنصارى في مواضع عديدة كما بيّنا ذلك آنفاً.

قبل كل شيء نحب أن نوضح بأن موضوع الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، ليس موضوعاً مجمعاً عليه

بين أهل العلم، فهناك علماء كثيرون يقولون إنه **لا نسخ أبداً في القرآن**، فكلّ ما فيه من آيات محكمات أو متشابهات. هي آيات ثابتة دائمة أزلية. تصلح لاستنباط الأحكام الشرعية منها، بحسب ما تقتضيه الوقائع والحوادث والأحوال والأزمان. في كل عصر وآن. مع مراعاة تغيّر الأحكام بتبدل الأزمان.

ولكي لا نطيل البحث حيال تأكيد هذا القول. فإننا نحيل القارىء الكريم ـ بالإضافة إلى ما ذكرناه قبلاً ـ إلى مصدر واحد من المصادر التي تؤكد عدم وجود أيّ نسخ لأي آية في القرآن الكريم، ونختار هنا كتاب «**لا نسخ في القرآن... لماذا؟**». [تأليف عبد المتعال الجبري. طبع مطبعة التضامن في القاهرة عام ١٩٨٠ ـ نشر مكتبة وهبة] وفيه يقول في الصفحة ١٨ ما يلي:

«اتفق العلماء على أنه لا يجوز أن يصار إلى القول بالنسخ إلّا إذا لم يمكن التوفيق بين الآيات. وإثبات أنه لا تعارض فيها... وقد استقرأت **جميع الآيات** التي قيل فيها

بالنسخ، وأمكنني التوفيق وإثبات أنه لا تعارض بينهما، وبهذا أصبح القول بوجود «ناسخ ومنسوخ» أمراً لا يصحّ أن يصار إليه أو يقال به».

وقد أورد هذا المؤلف عدداً من الآيات القرآنية التي وردت فيها كلمة «النسخ» فأوضح المعنى المراد منها، وبينها الآية التالية:

﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيةٍ أَوْ نُنْسِهَا، نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا. أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۞﴾(١٧).

وفي هذه الآية يقول: «إنها ليست نصّاً في أن المراد بالنسخ هو النسخ للآية القرآنية، فقد حُكي عن محيي الدين أبي بكر بن عربي أنه قال: «المراد بالآية في هذا الموضع إنما هو المعجزة». وقد تابعه في ذلك الإمام الشيخ محمد عبده. وكان هذا رداً على كفار قريش الذين طلبوا آيةً ـ أي معجزة كونية مادية ـ مثل الآيات الكونية التي صنعها الله لإثبات نبوة الأنبياء السابقين».

(١٧) سورة البقرة، الآية ١٠٦.

وما يقوله مؤلف هذا الكتاب في هذا المعنى صحيح. إذ أن كلمة «آية أو آيات» قد وردت في القرآن الكريم مرات عديدة، يتأكد منها معنى المعجزة، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ، وَٱخْتِلَافِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي ٱلْأَلْبَابِ﴾(١٨). فهل الآيات هنا آيات قرآنية؟ أم هي آيات كونية مادية هي في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار؟!.

والبحث في علم الناسخ والمنسوخ، بحث طويل جداً، تحدثنا عنه بشيء من التفصيل في الفصل السادس من الجزء الثاني من كتابنا [تعاليم الإسلام بين الميسِّرين والمعسِّرين] تحت عنوان (رجم الزاني وقطع السارق) حدّان للترهيب لا لبداهةالتنفيذ![ندوةعلميّة حولالنسخ في الشريعة الإسلامية]، نكتفي الآن بهذا القدر منه، لنثبت أن «آية السيف»التيتقول بقتل المشركين وحصرهم والقعود لهم كل مرصد. ليست مما ينطبق عليه مفهوم النسخ.

(١٨) سورة آل عمران. الآية ١٩٠.

وقبل كل شيء، نحب أن نوضح بأن هناك قاعدة فقهية تقول **بأن كل حكم شرعي يختلف فيه العلماء، فإن للفرد المسلم أن يأخذ بأي رأي من هذه الآراء المختلف عليها، دون أن يعاتب أو يلام أو يؤثم!!**

العلماء يختلفون في تفسير آية السيف!

وعلى هذا نلاحظ عند الذين يقرّون بعلم «**الناسخ والمنسوخ**» أن العلماء وأقطاب المفسرين قد اختلفوا في تفسير «**آية السيف**» فمنهم من قال بقتل كل مشرك بعد انقضاء مهلة الشهور الأربعة، ومنهم من لم يقل بذلك، وفي مقدمة هؤلاء الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري الذي يضعه البعض في مرتبة إمام المفسرين، ففي هذه الآية يقول الإمام الطبري:

فإن ظنّ ظان أن قول الله تعالى ذكره: ﴿ فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم﴾، يدل على خلاف ما قلنا في ذلك. إذ كان ذلك ينبيء عن أن

الفرض **على المؤمنين، كان بعد انقضاء الأشهر الحرم. قتل كل مشرك، فإن الأمر في ذلك بخلاف ما ظن**. وذلك أن الآية التي تتلو ذلك تنبيء عن صحة ما قلنا، وفساد ما ظنه من ظنّ أن انسلاخ الأشهر الحرم، كان يبيح قتل كل مشرك. **كان له عهد** من رسول الله ﷺ **أو لم يكن كان له منه عهد**. وذلك قوله ﴿كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله. إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام، **فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم. إن الله يحب المتقين..**﴾ فهؤلاء مشركون.. وقد أمر الله نبيّه ﷺ والمؤمنين... **بالإستقامة لهم في عهدهم ما استقاموا لهم**. بترك نقض صلحهم، وترك مظاهرة عدوّهم عليهم[١٩].

ونلاحظ من كلام الإمام الطبري أن الإستقامة من المسلمين للمشركين **واجبة عليهم، ما دام المشركون مستقيمين** بدون أي محدودية للزمن. وهذا مما يسمح بتوسيع آفاق التعامل والتعاون فيما بيننا وبينهم.

---

(١٩) راجع تفسير الإمام الطبري، سورة التوبة ـ الآية ٦ ـ .

التعاون والتعاطف ضرورة إنسانية حضارية

ثم إذا كان هذا هو الحال بالنسبة للمشركين والملحدين، فكيف يكون الحال بالنسبة للنصارى وجميع أهل الكتاب؟! ألسنا مدعوّين للإستقامة لهم ما داموا مستقيمين لنا.. ؟ دون تحديد المدة أو الأجل.

بل كيف يكون الحال مع الذين يشاركوننا في أوطاننا من النصارى وجميع أهل الكتاب، الذين لا ينقضون العهد بيننا وبينهم، ولا يظاهرون أعداءنا علينا لأننا نعيش وإياهم، على أرض واحدة، في ظلّ دولة واحدة، وفي بلد واحد وتحت علم واحد، أليس هؤلاء هم الأجدر بالإستقامة لهم، ما داموا مستقيمين لنا؟!..

وأكثر من هذا نلاحظ أننا مدعوُّون كمسلمين إلى أن نجير من يستجير بنا من **المشركين**، وأن نحميه ونرعاه على شِرْكه، حتى يسمع كلام الله، ثم إن علينا أن نُبلغَه مأمنه بدون أي أذىً في دمه أو جسمه أو ماله.

لا.. لا يجوز لنا أن نمارس أيّ ظلم، ولا أن نقترف أي ذنب بحق أهل الكتاب عموماً، وبحق النصارى خصوصاً، لأن هذا هو الإسلام الصحيح، في بليغ معانيه، وسموّ مقاصده، وبهذه الروح، دعونا وسنظلّ ندعو بإذن الله تعالى، إلى نبذ الظلم والحقد والكره، وإلى إقامة أوثق عرى التعاون والتعاطف ـ دينياً ـ. بين مسلمي العالم ومسيحيّيه، سائلين الله تعالى أن يوفق الجميع إلى ما يحبّه ويرضاه.

قال تعالى في سورة يوسف ـ الآية ١٠٨ ـ:

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي. أَدْعُو إِلَىٰ اللهِ عَلَىٰ بَصِيرةٍ. أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي. وَسُبْحَانَ اللهِ. وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۞﴾

نقول هذا بلغة الميسّرين. ولو كره ذلك منا المعسّرون.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المفكر الإسلامي
الأستاذ بشير العوف

- عضو عامل في جمعية قدامى الكشاف المسلم في لبنان.
- قائد فرقة المأمون لكشاف سورية عام ١٩٣٩ - ١٩٤٢م.
- عضو اللجنة الإدارية العليا لكشاف سورية.
- صاحب ورئيس تحرير جريدة «المنار» بدمشق.
- عضو المجلس الأعلى العالمي للاعلام الإسلامي.

***